HARLEQUIN
عبير
1133
١١٣٣

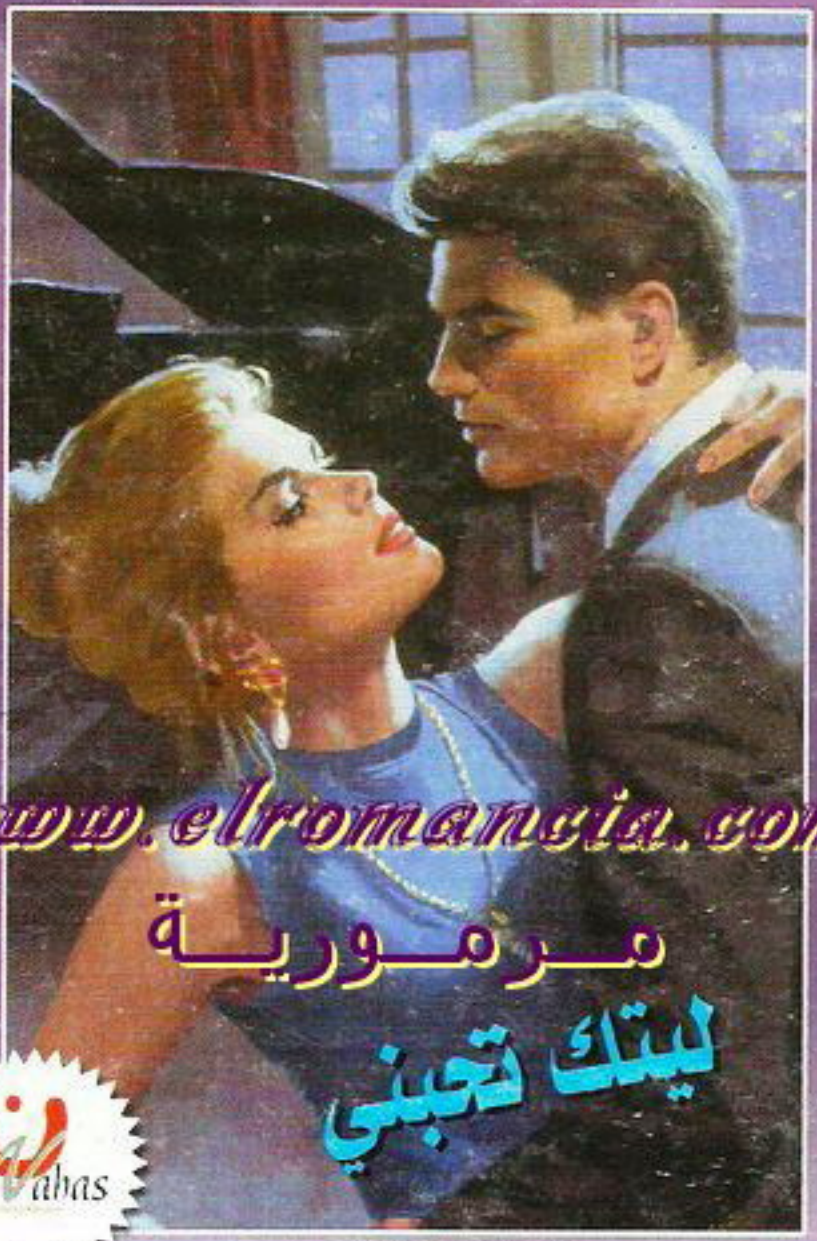

www.elromancia.com

مرمورية

ليتك تحبني

Wahas

صادر عن دار م. الدحاس

ليتك تحبني

دونيز روبن

حلمت لوسي غريشام بالذهاب الى قبرص لكن وضعها المادي لم يسمح لها. إلا ان الحظ كان الى جانبها حين تعرفت الى ادريان اوليفنت لتذهب معه الى قبرص وتكون مرافقة لوالدته المسنة. اندهشت حين رأت ادريان ليس بالرجل السعيد مع انه يملك الكثير من المال، فحاولت الاستفسارعن سبب حزنه وقبل ان تعرف الحقيقة وجدت نفسها مغرمة به.

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم
السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨ درهم
مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار

قال ادريان بصوت جليدي:

« سأغادر الى اثينا غداً صباحاً، لست واثقاً ان كنت مخطئاً ام مصيباً باحضارك الى هنا، لكن يبدو انك تروقين لوالدتي.

اكرر لك ثانية عدم رغبتي بايجاد رفيق مالك من القرية واحضاره الى هنا، وايضاً احذرك من اثارة استياء والدتي بأي طريقة ممكنة.»

سيطر الغضب على لوسي، انها لن تسمح له بمخاطبتها بمثل هذه اللهجة وقالت: « قبلت بالوظيفة كمرافقة للسيدة والدتك وليس كخادمة تملي عليها شؤون حياتها الخاصة. افهم ذلك لو سمحت.»

دنيز روبن

ولدت دنيز روبن وترعرعت في تاسمانيا المحاطة بالغابات والجبال والبراري. لهذا كرهت المدن الكبرى. اول عمل قامت به هو التعليم وحين تزوجت تابعت دراستها لنيل الدكتوراه في الفلسفة واخذت تقرأ الروايات العاطفية للتسلية. ثم تحولت التسلية عندها لكاتبة الروايات بنفسها مما زادها متعة وسعادة. متزوجة ولها ثلاثة اولاد تحب العمل في الحديقة والسير في الغابات وسماع الموسيقى.

١١٣٣
عبير
Abir 1133

دار مؤسسة النحاس
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الاول

سارت لوسي غريشام بطريق قصر النيل في القاهرة في ذاك الصباح الحار من شهر مايو، وشاهدت المشاهد اليومية لجموع الناس التي تعبر الطريق، بعضها بالعبايات البيضاء المعتادة والملاءات السوداء، والأخرى الاكثر ثراء بسياراتها الفارهة والطرابيش الحمراء التقليدية. شاهدت لوسي هذا وكل ما ينبض بالحس القاهري... وشعرت بالاحباط والكآبة.

كان عليها وداع كل هذا. عليها وداع مصر وكل الشرق الاوسط... وعملها في السفارة كسكرتيرة طوال السنة والنصف الماضية.

كل ذلك انتهى. زياراتها الاخيرة الى طبيب العيون كانت الحد الفاصل. ضوء شمس الصيف الساطع والتركيز المرهق على الطباعة اصاب عينيها بإرهاق شديد. وعليها الآن السعي لتبديل عملها.

ذهبت الى السفارة البارحة للمرة الاخيرة. وعليها الآن انتظار المركب الذي سيقلها الى انكلترا.

بحزن تابعت لوسي سيرها وهي لم تمانع ابداً السير بالشمس الدافئة الحارقة. احبت الشمس تماما كما احبت مصر. لم تشعر يوماً بالحنين الى موطنها هنا، كمعظم الفتيات الأخريات، لعل السبب في ذلك يعود الى عدم وجود عائلة لها هناك، عائلة تشدها الى موطنها الاصلي.

والدها كان طبيباً في «مقاطعة البحيرات» وقد توفي قبل

سنتين. أما والدتها فقد توفيت فور ولادتها لها. وقد تدربت لوسي على الاختزال واعمال السكرتاريا واللغات وكانت بالغة السعادة بالمجيء للعمل في السفارة في القاهرة حيث عرض عليها ذلك.

كانت فترة عملها هنا، فترة استمتاع وسعادة، بطريقتها الهادئة الخاصة. فهي فتاة خجولة تجد صعوبة في التعرف الى الاصدقاء لعل لوسي كانت صعبة الإرضاء والشاب الوحيد الذي حاز على اهتمامها كان زميلاً لها في السفارة،لكن لم يلبث ان تم نقله الى أنقره.

لم تكترث لوسي لذلك. فالأمر لم يكن جدّياً اصلاً. جل همها كل تلك الألوان والحيوية في العيش خارج انكلترا، فقد عشقت الصحراء والرحلات عبر النيل، روعة الغروب والشروق، الاهرامات وكل ما يحيط بالحضارة الفرعونية القديمة من جمال وغموض.

خططت للذهاب الى قبرص هذا الصيف، قبرص التي يسمونها «جزيرة الحب».

سمعت لوسي الكثير عنها واصبحت متشوقة جداً لزيارتها وقد ادخرت المال اللازم للذهاب الى هناك.

اما الآن فيبدو ان حلمها هذا لن يتحقق، فعليها إدخار كل قرش لإعالتها في لندن لحين استعادة راحة نظرها لمعاودة عملها لاحقاً.

اما هذا الصباح فقد قررت دخول احد مكاتب السفريات والسؤال عن الحجز الى قبرص. وقد امدها العاملون هناك بالعديد من الكتيبات عن الجزيرة.

نظرت الى صورة كبيرة لقلعة كيرينيا الشهيرة، على شاطىء البحر، وأشجار الزيتون الخضراء الممتدة حتى

الميناء الابيض الصغير ستشعر لوسي دوماً بفقدان شيء ما في حياتها ان لم تطأ قدماها رمال هذا الشاطىء الذهبي.

كان المكتب الصغير هادئاً، وكان الموظف مشغولاً، جلست لوسي وخلعت نظارتها الشمسية. لكم كانت عيناها متقرحين، ولكم تبدو شاحبة، تمتمت لوسي بهذا لنفسها وهي تنظر في المرآة، لكن شعورها الداخلي بالحماسة والإثارة، كان مشتعلا داخل هذا المظهر الخارجي الباهت.

تنهدت واعادت المرآة الى حقيبتها ثم رفعت نظرها لتشاهد رجلاً عريض المنكبين طويل القامة كان يتناقش مع موظف المكتب.تعلقت نظراتها كما المغناطيس بظهر هذا الغريب، وشعره الداكن الاسود. كان يقول:«لا آبه لمسائل الحجز وما تقوله يا عزيزي ويلسون، عليك ايجاد مكان لي على متن تلك الطائرة، اريد ان اكون في كيرينيا بعد غد.»

«سأفعل ما بوسعي لأجلك سيد اوليفنت.»

«هذا جنون. اردت فعلاً الذهاب الى الخرطوم نهاية هذا الاسبوع، فلدي الكثير الكثير من الاعمال هناك، لكن والدتي ليست بصحة جيدة ولا يسعني تركها وحيدة في كيرينيا، صحتها تتراجع ولم يعد بإمكانها مغادرة الفيلا ابدا، عليّ ايجاد مرافق لها.»

تعاطف الموظف معه قائلاً:«هذا متعب جداً لك دون شك سيد اوليفنت، واذكر قولك لي انك سعيد جداً بالآنسة ليتل التي كانت تسكن مع السيدة الأم.»

هز اوليفنت كتفيه مجيبا:

« كانت الآنسة ليتل مرافقة ممتازة، رسالة امي ابلغتني

اضطرار الآنسة للسفر عائدة الى بلادها لإجراء عملية جراحية ما، وانها على الارجح لن تتمكن من العودة.»

«وكيف ستستبدلها سيد اوليفيت؟»

« هذه هي المشكلة، لدي ٢٤ ساعة فقط لايجاد الشخص المناسب. ولن انجح بذلك بالطبع. لذا علي وضع إعلان بهذا الشأن وايجاد من يهتم بأمي موقتاً. ولحسن الحظ ان لديها حالياً بعض الخدم في المنزل.»

تسمرت لوسي في مكانها. لم يكن بوسعها الا التنصت على ما يدور، مجرد ذكر اسم كيرينيا كان كافياً. يا لها من فرصة رائعة لمن سيحل محل الآنسة ليتل تلك ويكون مرافقاً للسيدة العجوز في فيللا كيرينيا...

استدار السيد اوليفنت وغادر المكتب، رمى لوسي بنظرة قصيرة غير مهتمة.

هناك شيء ما محير بأمره، قالت لوسي لنفسها وهي تتجه نحو مكتب الموظف.

«من كان ذاك؟»

«السيد ادريان اوليفنت.» قال الموظف واضاف متباهياً بمعرفته: «الجميع يعرفه، يعمل في تجارة النقل بحراً عبر الشرق الاوسط بأكمله ويملك فيللا في قبرص.»

قالت لوسي ببطء:«اجل اعلم ذلك، لم استطع الا ان استمع لحديثكما.»

«ان كان بوسع احد الحصول على مقعد في الطائرة المتجهة الى قبرص الآن، فهو الذي يستطيع ذلك، بالنفوذ المال والمكانة. لكني لست واثقاً من امكانية ايجاده لمرافقة مناسبة لوالدته بفترة قصيرة كهذه.»

قالت لوسي فجأة:«آه لكم اتمنى التقدم لهكذا وظيفه.»

رمق ولسون الفتاة ببرود متأملاً اياها وقال :«انت؟!»

شعرت لوسي بالدماء تندفع الى وجنتيها فيما قلبها يخفق بقوة وقالت:«ولم لا؟ ارغب بالذهاب الى قبرص. اتحرق شوقاً لرؤيتها وانا بحاجة لوظيفة جديدة، لدي مراجع ممتازة. عملت لمدة سنة في وزارة الخارجية في لندن واعمل في السفارة البريطانية هنا منذ عام ونصف.»

رفع الموظف نظره اليها بعد ان ذكرت عملها في السفارة. اجل انها فتاة راقية قد تكون مناسبة لمساعدة السيد اوليفنت. انها شابة ويافعة، وهو يفضل من كانت اكبر سناً منها، لكن لا مانع من مقابلته لها والحكم عليها بنفسه. بإمكانها الذهاب لمقابلة السيد اوليفنت في شقته في شارع الجزيرة.

غادرت لوسي مكتب الطيران وفي حقيبتها قصاصة ورق تحمل عنوان السيد ادريان اوليفنت وفي قلبها بصيص امل بإمكانية رؤية قبرص وترتيب مستقبلها في تلك الصفقة ايضاً.

كانت الدقائق الاولى للقاء لوسي مع ادريان اوليفنت مخيبة للآمال. بدا منزعجاً حيث وجدها على باب شقته وسمع كيف ولماذا هي هنا.

«سخف من ويلسون ارساله لك الى هنا آنسة...»

«غريشام.» ردت لوسي بحزن:«لوسي غريشام.»

«آسف آنسة غريشام، انت صغيرة السن جداً. مرافقة والدتي الاخيرة كانت في الخمسينات، وانا ابحث عمن يناهز هذا السن. فوالدتي قد تعدت السبعين ولا ترغب بمراهقة كمرافقة.»

شهقت لوسي باستغراب واجابت:«انا في الرابعة والعشرين

وانا اعمل لكسب عيشي منذ اربع سنوات.»
حدق ادريان اوليفنت بها بقوة. فهو لم يتوقع ابدا ان تكون بعمر العشرين حتى. كان قد لاحظ عينيها الجميلتين ويديها النحيلتين الناعمتين لكنه لم يلحظ اي مظهر جمالي آخر بها.
كانت تحدثه عن عملها في القاهرة، وعن اجهاد نظرها وعن ضرورة عودتها الى لندن.
وانهت بالقول:«لا ارغب بالعودة، ليس لدي ما ارجع اليه، ليس لدي احد هناك، وانا متلهفة جدا لرؤية قبرص، صدقني، انا مستعدة لتكريس وقتي كله لوالدتك. انا لا اكترث للحفلات والنزهات، انا احب الكتب والموسيقى. اعزف البيانو وفقا للسمع وليس للنوتة الموسيقية. ويقول كل من يسمعني ان عزفي جميل. قد ترغب والدتك بأن اعزف لها احيانا.»
عند هذه اللحظة بالذات تردد ادريان اوليفنت. فقد كان متعبا ومرهقا من ضغط العمل في هذه الفترة العصيبة ومن ضرورة ذهابه الى قبرص رغم حبه الجم لوالدته. كان قراره في البداية التخلص من هذه الفتاة بأسرع وقت ممكن، فهي لم تكن ما يريد، لكنه يحب الموسيقى، ووالدته تحب الموسيقى بدورها. هناك بيانو ضخم في فيللا كيرينيا لكن احدا لم يعزف عليه منذ فترة طويلة.
توسله صوت لوسي وهي تتابع:«سيد اوليفنت، لعلك تعتبر هذا تصرفا غير لائق لكني لم استطع الا الاستماع الى محادثتك مع الموظف في مكتب الطيران. لقد دخلت ذلك المكتب وانا افكر بطريقة ما تجعلني ارى قبرص. انت لا تعرف ماذا تعني لي عودتي الى لندن، ليس لدي اي

شيء هناك، لا عائلة او اقارب. بإمكاني تكريس وقتي بأكلمه لوالدتك، ارجوك فكر باستخدامي ولو لفترة موقتة حتى تجد مرافقة اخرى. من فضلك اعطني فرصة بإمكانك مهاتفة رئيسي في السفارة، انظر اعطاني هذا.» وناولته ورقة.
فكر ادريان كم هي امرأة ملحة ومصرة وببعض الاهتمام قرأ الورقة. بالطبع كان كل الكلام لصالح الشابة. سكرتيرة من الدرجة الاولى، ذكية ويمكن الاعتماد عليها، لبقة، نأسف كثيرا لخسارتها، الخ...
لبقة! هذا ما جذب انتباه ادريان، سار الى النافذة ونظر عبرها الى الخارج. ورحلت افكاره من القاهرة الى قبرص، الى فيللا كيرينيا، منزل والدته. كيف يمكن لوالدته الاعجاب بمرافقة بعمر هذه الفتاة؟ لعل هذا سيكون تغييرا مفيدا ومنعشا لها بوجود شابة يافعة في المنزل.
«قد اندم على هذا القرار لاحقا فأنا لاازال اعتبرك صغيرة السن، لكني رجل مشغول جدا واتلهف للاطمئنان على امي مع مرافقة جديدة. سأخابر السفارة وان كان كلامهم الشفهي ككلماتهم المكتوبة هنا فسأقترح على امي ان تجربك كمرافقة لها لمدة شهر.»
«آه شكرا لك. شكرا جزيلا لك.»
«خير طريقة لك لشكري هي ببذل افضل ما لديك لاجل راحة والدتي، فسعادتها هي اهم ما اريد واسعى اليه. آمل انك عنيت حقا ما ذكرته حول عدم حبك للحفلات والسهرات. فوالدتي لن ترغب بإقامتك للعديد من الصداقات حيث سيصبح المنزل مرتعا لاصدقائك. من الطبيعي انك ستحظين بوقت راحة، لكن والدتي بحاجة الى الاهتمام

www.elromancia.com

الدائم والعناية المركزة. فهي شبه عاجزة بسبب داء المفاصل وتسير ببطء وتستخدم العكازات. عليك التواجد معها في كل مكان. إذا اعتقدت ان هذا العمل سيكون مملاً ومتعباً فقولي ذلك الآن.»

«لن اجد هذا مملاً او متعباً. متى تريدني ان ابدأ؟»

«هل انت حرة الآن؟»

«بالتأكيد.»

«اذن سنطير الى هناك بعد غد. اتصلي هاتفياً بمكتبي غداً وسأطلعك على الوقت. سيقلك سائقي الخاص ويأخذك الى المطار.»

هذا تحقيق لأروع احلامها. من الواضح ان ادريان اوليفنت رجل يتصرف بسرعة وتنظيم فور اتخاذه لأي قرار. بعد غد ستطير الى قبرص. يا لحظها الرائع!!

قطع صوت ادريان عليها افكارها السعيدة قائلاً:«لا تحضري الكثير من الحقائب لو سمحت. حقيبتان فقط، وسأعمل على شحن بقية اغراضك الثقيلة الى الجزيرة لاحقاً.»

«جيد جداً.» ثم خطرت على بالها فكرة مفاجئة، لا يجب على اي فتاة التصرف بطيش، وان كانت ستغادر مصر بهذه السرعة ... فعليها بالطبع اجراء بعض الاستفسارات هي بدورها.

ترددت قليلاً وهي تقول:«انت لا تمانع بطرحي بعض الاسئلة عنك... وعن...عن...»

توقفت وهي تشعر بالارتباك والخوف من ان يجعله كلامها غاضباً وان يرفض استخدامها.

حدق ادريان بوجهها ولاحظ توترها. ثم فجأة فهم

ولاحت النظرة الساخرة في عينيه وضحك بخفة.

«آه فهمت. تريدين التأكد من انني لست ذئباً متخفياً بثوب نعجة يسعى للايقاع بك. لكم هذا مضحكا. لكن بالطبع لك الحق في ذلك. فقد غامرت بعرض خدماتك على رجل غريب في القاهرة. لكني اقول لك الحرية الكاملة بالسؤال عني، فاسمي واسم شركتي معروفان تماماً في كل الشرق الاوسط. لدي مكاتب هنا في الاسكندرية، في السودان، وفي اليونان،وبإمكان السيد الذي كنت تعملين سكرتيرة له اعطاؤك معلومات كافية عني. فقد عملت شخصيا معه حين كنت ضابط اتصال اثناء الحرب. حقاً لا داع للقلق من ناحيتي.»

لم يساعد هذا الخطاب بالتقليل من ارتباك وحرج لوسي، فقد شعرت ببعض الامتعاض. وقبل ان تجيبه، تبدل مزاجه واضاف بنبرة اقل حدة:

«على كل حال لك الحق في ذلك. وان سار كل شيء على مايرام فسنلتقي في المطار بعد غد. شكراً لك لعرضك لخدماتك.»

ابتسم لها الآن ابتسامة واهنة جعلته يبدو اكثر انسانية كان جذابا ووسيماً جداً، لكن الاهم في كل افكارها الآن كان ادراكها انها اخيراً ستذهب الى قبرص.

استمعت صديقاتها الى انبائها المذهلة وشعرن بالغيرة والدهشة.

حين سمع مديرها السابق اسم ادريان اوليفنت رد على الفور:«آه اوليفنت! انه من افضل الرجال وهو بالغ الثراء فقد ورث شركة الشحن الملاحية تلك من ابيه، ورغم كل ثروته الا انه رجل بسيط ومتواضع. وهو الاكثر كرما

www.elromancia.com

من كل من قابلت في حياتي، ويحب والدته حباً جماً. اظنك محظوظة يا لوسي بالحصول على هذا العمل.»

وحين اخبرته لوسي انها اعتقدت السيد ادريان اوليفنت شخصاً مرعباً، انفجر المدير بالضحك واعترف قائلا:«آه، اجل، لا وقت لاوليفنت للنساء، فهو مشغول تماماً في تجارته، وقد مر بتجربة حب مأساوية لكني لا اعرف شيئاً عنها.»

وغير ذلك لم تعرف لوسي شيئاً اضافياً عن مخدومها. وحتى بعد ٣٦ ساعة حيث كانت على متن الطائرة التي تقلها وادريان اوليفنت الى قبرص كانت لاتزال تشعر بالدوار.

نظرت لوسي مجدداً عبر النافذة وتسارعت نبضات قلبها حين رأت جزيرة قبرص، اخيراً قبرص!

صاحت قائلة: «ها قد وصلنا، نيقوسيا عاصمة قبرص اليس كذلك؟»

تمتم قائلاً:«اجل.»

تقلصت لوسي في مقعدها. للسيد اوليفنت طريقة ممتازة بسحق الحماس واللهفة.

كان سائق سيارة خاصة بانتظارهما. لم يسبق للوسي ان شاهدت ما هو اكثر جمالاً مما كانت تراه الآن والسيارة تنهب الطريق متجهة نحو فيلا كيرينيا.

بعد استدارة بسيطة ظهرت كيرينيا والقلعة القديمة. كانت هذه لوحة انحفرت في مخيلتها الى الابد، وفيما تابعت السيارة سيرها رأت لوسي البلدة البيضاء اللون، المرفأ الصغير والاكواخ الخشبية الملونة لم تستطع الا ان تستدير نحو ادريان قائلة بحماس:

« آه، كل شيء كما تخيلته تماماً. انها رائعة، اعرف الآن

لما يدعونها «جزيرة الحب» فقد غرقت في حبها منذ لحظة هبوطنا اليها...»

ثم توقفت عن المتابعة واحمرت وجنتاها خجلاً وابتعدت عن الرجل بارتباك.

شعر ادريان ببعض الدهشة، كانت هذه فتاة غريبة وغير عادية، وقرر اخبارها ان قبرص تدعى«جزيرة الحب» لسبب مختلف تماماً. فوفقاً للميثولوجيا ولدت افروديت هنا في بافوس، وكانت افروديت شعار الحب عند اليونانيين القدامى، حتى الآن لا يزال الاهالي يحتفلون بيوم ميلادها.

وصلوا الآن الى اسفل التلة وخارج حدود القرية بقليل دخلت السيارة في ممر خاص اسواره بيضاء عالية تغمرها النباتات وقرأت لوسي على لوحة معدنية كبيرة « فيللا فينيشيا »

قال اوليفنت:«هذا منزل والدتي.»

جلست لوسي بهدوء وسكون فيما دخلت السيارة الى مدخل الفيللا. كانت الاعمدة البيضاء الفخمة تزين الحديقة الغناء وتنحدر الحديقة نحو الشاطىء والمرفأ الخاص الصغير.

بعد دقائق قليلة وجدت لوسي نفسها في صالون كبير بارد حيث تنتظرها السيدة اوليفنت. كانت سيدة صغيرة الحجم، تجلس على كرسي ضخم وبيديها عصا من العاج الاسود وخلف ظهرها مساند حريرية. كان وجهها نحيلاً ورقيق الملامح وشعرها الابيض مرفوعاً بطريقة جميلة تحت الغلالة الايطالية من الدانتيل الاسود. كان وجهها يعكس معاناة كبيرة لكنه كان رقيقاً ولطيفاً تماماً كصوتها.

www.elromancia.com

وجه الشبه الوحيد بينها وبين ابنها كانت تلك العينان الزرقاوان اللامعتان.

رحبت السيدة العجوز بلوسي على الفور قائلة:«لم يخطر ببالي مطلقا ان بإمكان ولدي ايجاد مرافقة لي عوضا عن الآنسة ليتل بمثل هذه السرعة، لكن حقا ادريان...»

والتفتت الى الرجل متابعة بضحكة خفيفة:«لقد احضرت لي فتاة صغيرة وضعيفة كضعف امك العجوز وانا بحاجة الى ساعدين قويين هذه الايام.»

اجابت لوسي بسرعة:« لكنني قوية سيدة اوليفنت، اؤكد لك ذلك. انا اقوى بكثير مما ابدو عليه ولم يسبق لي ان مرضت ابدا، فقط عيناي هما المتعبتان.بإمكاني مساعدتك بأي شيء، وانا لست طفلة حقا. انا في الرابعة والعشرين ومستقلة تماما. كانت وظيفتي دقيقة جدا في السفارة وانا اعشق المنزل والبقاء بالداخل. كنت اهتم بكل شؤون منزلي واعتني بوالدي حتى وافته المنية.»

رفعت بلانش اوليفنت يدها نحو لوسي:«حسنا، حسنا يا عزيزتي، سنرى بهذا الشأن، اشعر انك ستعتنين جيدا بي، لكنك صغيرة السن جدا وجميلة واشفق عليك البقاء مع عجوز.»

«لا، لا، لست كذلك.» قاطعتها لوسي وقد اندفع الدم الى وجنتيها. ضحكت السيدة اوليفنت مجددا والتفتت الى ابنها:«الا تجدها كذلك يا ادريان؟»

لم تجروء لوسي على رفع نظرها اليه، شعرت بنفسها تتقلص ارتباكا فقد ادركت انه سيقول شيئا مريعا، وهذا ما حدث بالفعل.

«لست بمن يحكم على الفتيات الجميلات، وقد احضرت

الآنسة غريشام الى هنا ليس بسبب وجهها بل لانها كانت متلهفة للمجيء الى الجزيرة وفكرت انك بحاجة ماسة لمن يحل مكان الآنسة ليتل. لكن ان لم تكن الآنسة غريشام مناسبة لك...»

توقف عن الكلام وغاص قلب لوسي بحزن.

لكن السيدة اوليفنت اعادت اليها الامل وهي تقول:«يا للآنسة غريشام المسكينة، يا لهكذا ترحيب محبط لها في فيللا فينيشيا!! اشعر بالخجل منك يا ادريان اذا ارادت الفتاة البقاء والاعتناء بي فلها ذلك. من الممتع لي وجود شابة يافعة في منزلي، ببعض الاحيان اشعر بالعجز والوحدة.»

شاهدت لوسي بذهول التحول المفاجيء الذي طرأ على ادريان وهو ينحني بحب وقد لونت العاطفة الرقيقة وجهه مقبلا وجنة والدته قائلا:«لن تكوني عجوزا ابدا امي، انت لا تشيخين بنظري بتاتا.»

عانقته وسألته:«انا سعيدة جدا لرؤيتك هنا يا حبيبي. الن تبقى؟»

«عليّ المغادرة غدا صباحا، فلدي عمل طارىء ومهم في اثينا.» تنهدت الوالدة ونظرت الى لوسي قائلة بحزن :«انا لا ارى ولدي مطولا ابدا يا لوسي، هل لي بمناداتك لوسي؟»

«بالتأكيد.» ردت لوسي بابتسامة خجولة.

«الآن دعي خادمتي نيتا ترشدك الى غرفتك التي اعددتها لك فور وصول برقية ابني. ثم تعالي لتناول طعام الغداء.»

تبعت لوسي الفتاة القبرصية الجميلة المدعوة نيتا عبر السلالم الخشبية الى الطابق العلوي. لقد ادركت فور ان

حطت الطائرة على ارض المطار لما كانت متشوقة ومتلهفة للمجيء الى هذه الجزيرة. انها فعلاً جزيرة الاحلام الرائعة، وهذا اروع منزل سبق ان شاهدته في حياتها، كل ركن فيه ينطق بالجمال والرقي، الغرف العديدة، الارضية اللامعة والسجادات الثمينة، اللوحات الاصلية التي لا تقدر بثمن، التحف البرونزية والرخامية، التحف الصينية وقطع الكريستال في الطابق السفلي فيما بعد ان السيدة اوليفنت قضت فترة طويلة في روما وفلورانسا حيث انشأ والد ادريان شركة للنقل البحري خاصتهم، واصبحت هذه الفيللا منزل الوالدة منذ ترملت منذ اثنتا عشر سنة.

كانت غرفة لوسي مريحة وجميلة وانكليزية الطراز بمفارشها الزهرية والبيضاء واثاثها البسيط الناعم. كانت هذه غرفة الآنسة ليتل سابقاً وكانت النافذة الكبيرة على احد جدرانها تظهر البحر الرائع في الاسفل.

نظرت لوسي الى البحر وتمنت لو انها تبقى هنا الى الأبد. كانت سعيدة لسفر ادريان اوليفنت في الغد حيث ستبقى في هذا النعيم وحدها مع والدته اللطيفة. اما حتى ذلك الحين فهي لن تسمح لأي من تعليقاته الساخرة بافساد سعادتها هذه.

امضت بقية النهار بعيداً عن الوالدة والابن تاركة لهما الوقت معاً وتجولت في الحديقة وتمشت الى القرية القريبة. سحرها الود واللطف الموجود لدى القبارصة.

كان الجميع يبتسم للغريبة النحيلة الانكليزية. لكن الشيء الوحيد الذي ادركته اثناء محادثتها مع المحليين، الغبطة التي كانت تغادرهم فور ذكرها لمكان اقامتها. جميعهم كان يتوقف عن الابتسام والحديث فور ذكرها لفيلا

فينيشيا وان السيد اوليفنت لازال هنا، بأدب وبهدوء كانت الرسالة تصل الى لوسي بأنهم لا يرغبون بمتابعة الحديث.

عادت لاحقاً الى الفيلا بسعادة عارمة لدفء وودية اهل القرية لكنها كانت مشوشة الافكار حول سبب كره المحليين للسيد اوليفنت.

لم تر الام والابن الا وقت العشاء، اخبرت نيتا لوسي ان السيدة تبدل ملابسها على العشاء لذا فقد فعلت لوسي المثل واستبدلت ملابسها.

استقبلت لوسي بابتسامة مرحبة وقالت:«اخبرينا كل شيء عن نزهتك الى القرية.»

بدأت لوسي الكلام ثم رفعت نظرها ورأت عينيه عليها وهو يجلس على الكرسي المقابل لها. كانت نظرته عدائية وصارمة لسبب تجهله وقد اعادت الى ذهنها كره الاهالي المحليين له. وتساءلت:ترى ما الأمر؟؟؟!!

www.elromancia.com

الفصل الثاني

ما لم تكن تعرفه ان ادريان اوليفنت كان يمر في تلك اللحظة بالذات بصراع عقلي قوي جداً، فقد اذهله مظهر لوسي على العشاء، فمن قبل كان يراها كفتاة صغيرة لا قيمة لها ترتدي نظارة طبية. الليلة ظهرت من دون النظارات مظهرة جمال عينيها العسليتين الواسعتين ورموشها الكثيفة.
لم يحادثها مطلقاً اثناء العشاء، وببطء سيطر الصمت على لوسي رغم محاولات السيدة اوليفنت لإشراكها في الحديث بين الحين والآخر من باب اللياقة الأدبية.
خاطبها ادريان مرة واحدة فقط قبل انتهاء تلك الامسية، بعد ان اوصل والدته الى غرفة نومها. وببقائه وحيداً مع لوسي قال بصوت جليدي:
«سأغادر الى اثينا غداً صباحاً، لست واثقاً ان كنت مخطئاً ام مصيباً باحضارك الى هنا، لكن يبدو انك تروقين لوالدتي.»
احمرت وجنتا لوسي وتابع قائلا:«لكني اكرر لك ثانية عدم رغبتي بإيجاد رفيق ما لك من القرية واحضاره الى هنا، وايضاً احذرك من إثارة استياء والدتي بأي طريقة ممكنة.»
سيطر الغضب على لوسي حينها فرغم كل لباقتها وعمق رغبتها في البقاء هنا، الا انها لن تسمح له بمخاطبتها بمثل هذه اللهجة وقد اخبرته بذلك:
«قبلت بالوظيفة كمرافقة للسيدة والدتك وليس كخادمة تملي عليها شؤون حياتها الخاصة. افهم ذلك جيداً لو سمحت.»

ثم نهضت وغادرت المكان. فجأة استدار نحو الرف الحديدي المثبت على الجدار واتكىء بذراعيه عليه مخفياً وجهه بكفيه.
وتمتم قائلاً:«لقد اصبحت وحشاً، كنت رهيباً مع تلك الفتاة دون ادنى سبب، لقد حدث كل شيء هنا في هذا المكان، في هذه الغرفة. آه! لو ان الماضي لم يحدث ابداً، لو كان بإمكان المرء العودة الى الوراء لا التقدم الى الامام، حينها لعل لوسي غريشام نفسها قد تفهم وتعذر لو انها عرفت.»
لكن لوسي لا تعرف ولا تجد اي مبرر لتصرفه الرهيب هذا.
نزلت الى الفطور صباح اليوم التالي بعد ان متعت نظرها بالبحر اللامع والشمس الدافئة والسماء الزرقاء عبر نافذة غرفتها. رأت ادريان على الشرفة وبادلها الحديث هذه المرة لكن بطريقة مختلفة تماماً. فقد ودع والدته للتو وكان يستعد للذهاب الى نيقوسيا، نظر الى لوسي وتذكر تلك الفتاة الجميلة ذات العيون الذهبية التي اثارت ذكرياته الحزينة على العشاء البارحة. لكن ما يراه اليوم تلك الفتاة المتحفظة ذات النظارات الطبية.
قال:«اريد الاعتذار لك عما بدر مني ليلة البارحة. انا حقاً ممتن لك لقبولك هذه الوظيفة والاعتناء بوالدتي، اشكرك على ذلك.»
فورا مدت لوسي له يدها مصافحة وقالت:
«لا داعي للشكر سيد اوليفنت انا من عليها شكرك لإتاحة هذه الفرصة لي.»
امسك بيدها وشعرت على الفور بقوة اصابعه. ثم قال:«سأعود الى هنا لاحقا حيث يخف ضغط العمل قليلاً لارى كيف تتدبرين امورك. اذا اعتقدت ان والدتي

بحاجة لشيء ما، او بحال حدوث خطب ما فابعثي من فضلك برقية الى مكتبي الرئيسي على الفور.»
ثم رحل بشيء من الراحة، استدارت لوسي عائدة الى الفيللا، يا له من رجل غير عادي!! فقد ادهشها اعتذاره لها.
وجدت لوسي بعد ايام ان حياتها ووظيفتها الجديدة سهلة جداً ومريحة، دون اي واجبات متعبة وكل ما كان يطلب منها كان من الامور المحببة اليها. كالإشراف على الاعمال المنزلية، مراجعة الطباخ وتحديد انواع الاطعمة التي سيتناولوها على الغداء والعشاء، بعض اعمال الخياطة، مساعدة السيدة اوليفنت بارتداء ملابسها وبتنقلها من غرفة الى اخرى، ايضاً وايضاً شراء الحاجيات اليومية من سوق البلدة القريب حيث تعلمت لوسي بسرعة قيمة العملات القبرصية.
كان اصحاب البقالة لطفاء دوماً معها، ولاحظت كيف تغيرت طريقتهم نحو الافضل فور معرفتهم بمغادرة ادريان اوليفنت الجزيرة. فقد بدا ان الجميع متشوق لخدمة وراحة السيدة الوالدة. إضافة لساعة من القراءة بصوت مرتفع للسيدة الام، كان للوسي الكثير من الوقت الاضافي الحر.
ثم كان هناك البيانو، وقد بدأت لوسي العزف عليه صباح اليوم التالي لمغادرة ادريان اوليفنت الجزيرة. كانت لوسي تعزف للسيدة يوميا ولمدة ساعة. لم تصدق لوسي مدى سعادة المرأة العجوز بالاستماع لها!! وقد اطرت على عزفها وعلى اذنها الموسيقية وكانت تعشق معزوفات شوبان بالذات والتي كانت لوسي بدورها تفضلها.

«هذا يغمرني بسعادة عارمة لم اشعر بها منذ سنوات وسنوات. عزفك يسحرني ويعجبني، سأكتب لابني واخبره انك الشخص المطلوب بالضبط لي.»
شكرتها لوسي بخجل وتابعت السيدة الأم:«اتمنى لو ان ادريان سمعك تعزفين، لكنه سيفعل في المرة القادمة التي يأتي بها لزيارتنا.»
لم تجب لوسي، يبدو ان حب السيدة الوالدة لابنها اعماها عما يعتقده الآخرون بشأنه. وقد فرحت لإدخالها السعادة الى قلب السيدة التي رغم الايام القليلة التي عرفتها بها الا انها اكتسبت حب لوسي لها واحترامها.
كانت دائمة التحدث عن ادريان، ممتدحة ذكاءه، ونباهته في الاستمرار بنجاح باهر في تجارة ابيه وفوق هذا اخلاصه الكبير وتكريسه لنفسه لراحة وسعادة والدته، لم يكن لأي امرأة ابداً ابنا بمثل طيبته وحنانه. لكنها المحت لذكريات في الماضي حطمت حبه للجزيرة، لكن حتى الآن لم تتمكن لوسي من حل اللغز الغامض المرتبط بكرهه للجزيرة وكره اهالي الجزيرة له.
وفي احدى الامسيات حين كانت السيدة اوليفنت ترتاح بعد تناول الغداء، اخذت لوسي كاميرتها واتجهت الى الطريق المؤدي الى «بيلابيس» طلبت منها السيدة اوليفنت استئجار سيارة ليقلها الى هناك لكن لوسي فضلت السير. فقد سمعت الكثير عن هذا الموقع الأثري القديم. وكان فيه العديد من الاعمدة القوطية القديمة.
توقفت لوسي عدة مرات لالتقاط الصور لهذا المنظر الخلاب او ذاك، ثم فجأة وصلت الى فندق صغير وسط التلة، مدخله مزين بالازهار حيث تنتشر الكراسي والطاولات الصغيرة.

وفي الاعلى كانت سقيفة من نباتات العنب القبرصي الشهير. ومن هنا بامكان المرء رؤية المرفأ الصغير والبحر المترامي الاطراف.

لم تتمكن لوسي الا ان تتوقف للاستراحة واحتساء الشراب البارد، جلست ونزعت قبعتها ونظاراتها ومسحت وجهها فيما هي بانتظار عودة النادلة برفقة ابريق الليموناضة الطازجة.

لحظات وخرج من داخل الفندق كلباً اسود وقفز مرحاً باتجاه لوسي. نادى رجل ما على الكلب بلغة يونانية رفعت لوسي نظرها الى مصدر الصوت لتجد رجلاً معتدل القامة، بشعر اشقر وعينين زرقاوين وبشرة سمراء لوحتها الشمس. ابتسمت له وقالت:

«لا بأس، فأنا احب الكلاب.»

تقدم الرجل نحوها واجابها بذات لغتها:«آه، مساء الخير، قد يتسخ ثوبك من قوائمه، انه كلب سيء. هل بإمكاني مساعدتك بأي شيء؟ اترغبين باحتساء الشاي؟»

«لا، شكراً لك، فقد طلبت الليموناضة، انا في طريقي الى «بيلابيس» لكني لم استطع مقاومة الجلوس في هذا المكان، انه مكان رائع والمنظر من هنا خلاب.»

«انا ادير هذا المكان لأجل جداي، انهما يونانيان لكنهما يعيشان هنا في قبرص منذ قرون، اسمي نيكولاس اليستون.»

«واسمي لوسي غريشام. وقد احببت هذا المكان.»

« عليك رؤية المكان من الداخل ايضاً. فهو مشهور بأثاثه المميز والقديم جداً. بعضه من خشب الجوز الانكليزي وكان يعود اصلاً لوالدتي، فوالدتي انكليزية.»

احضرت النادلة ابريق الليموناضة، فسكب نيكولاس اليستون لها العصير في الكوب.

طلب منها الإذن بالجلوس ومحادثتها فيما هي تحتسي شرابها، فوافقت لوسي قائلة:

«طبعاً، تفضل.»

سمعته يتحدث عن نفسه وعن كيرينيا، كان مختالاً قليلاً لكن بطريقة لائقة ومحترمة.

علمت انه يتحدث الانكليزية بطلاقة لانه نشأ وترعرع في بريطانيا، كان يخطط ليصبح صاحب فندق لكن الحرب افشلت مخططه، ثم قتل والده وزوجته في حادث طيران وعاد هو الى قبرص، وكان جداه يديران هذا الفندق لكنهما كانا قد هرما واصبحا عاجزين عن إدارته، ولهذا استلم نيكولاس هذه المهمة عنهما.

«اشعر احياناً انني اضيع وقتي سدى.» اخبر لوسي وهو يجلس على طرف الكرسي ويتابع بتفكير:

«قد اغلق السنة القادمة هذا الفندق واعود الى اوروبا، قلقي الوحيد هو شقيقتي التي لا يسعني تركها هنا وحدها.»

«اذن لديك شقيقة؟» تساءلت لوسي باهتمام.

«اجل لدي شقيقة.»

ثم لاحظت الغمامة السوداء التي ظهرت في عينيه:«افروديت مسؤولية كبيرة على كاهلي، آه، ها قد اتت.»

وخرجت من الفندق فتاة صغيرة وانضمت اليهما. لكن جمالها كان مختفياً خلف تقطيبة حادة وفم ملتو ممتعض. نهض نيكولاس عن الطاولة منادياً اياها. «تعالي يا إفروديت والقي التحية على الآنسة الانكليزية، والتي وصلت الى كيرينيا.اسمها الآنسة غريشام.»

تقدمت الفتاة ومدت يدها مرحبة بلوسي. وحين تكلمت كانت لهجتها متلونة باللفظ اليوناني.

قالت لها لوسي:«انت لا تشبهين اخاك مطلقاً.»

فأجابها نيكولاس:«أفروديت يونانية اصيلة، هي اختي غير الشقيقة لجهة والدي فقط. انا في الخامسة والعشرين وهي تصغرني بسبع سنوات. ومنذ مقتل والدي ووالدتها وانا العب دور والديها وشقيقها بنفس الوقت.» ثم حدج افروديت بنظرة غاضبة متابعاً:

«وصدقيني هي مصدر متاعب كبيرة لي.»

هزت الفتاة كتفيها بعدم اكتراث وضحكت لوسي.

«انها جميلة جداً واظنها تحظى بالكثير من الاصدقاء الشبان، وهذا ما يزعجك يا نيكولاس.»

«حان الوقت لها للارتباط الثابت بزوج.»

فسارعت الفتاة للقول:

«آه، اصمت من فضلك فأنا لا ارغب بالزواج.»

هز نيكولاس كتفيه والتفت الى لوسي قائلاً:

«اين تقيمين آنسة غريشام؟ في اي فندق؟»

«لا اقيم في اي فندق. فأنا اعيش الآن في فيللا فينيشيا.»

كان لوقع الاسم صدمة الكهرباء عليهما. فقد عبس الوجه الباسم فوراً وتجمدت ملامحه للحظات، ذات رد الفعل الذي سبق للوسي رؤيته عند اهالي البلدة، وقد ازعجها هذا الامر.

وتابعت تقول:«احضرني السيد ادريان اوليفنت الى هنا من القاهرة قبل اسبوع، انا مرافقة والدته.»

مجددا الصمت الثقيل، لكن رأت لوسي هذه المرة وجه الفتاة الشابة يكاد يتفجر من اللون الاحمر القاني ثم

يتحول الى وجه بلا حياة. تلألأت الدموع في عينيها وارتعشت شفتاها واقتربت من لوسي متسائلة بصوت يعتصره الحزن:«اهو هنا مجدداً؟ هو على الجزيرة؟ هو هناك الآن؟»

قالت لوسي ذاهلة:«ليس حالياً...»

لكن نيكولاس قاطعها مخاطباً اخته بصوت كالرعد:«كيف تجرؤين على طرح هكذا اسئلة؟ عودي الى الداخل، عودي الى الداخل الآن افرو، الآن.» ثم تابع سيل كلماته لكن باللغة اليونانية التي لم تفهمها لوسي لكن نبرته حافظت على ذات الغضب ونفس الحنق. وكان تأثير ذلك على الفتاة السمراء ان انفجرت بالبكاء وهرعت مسرعة الى داخل الفندق.

نهضت لوسي وقد شعرت بالامتعاض وعدم الفهم مجدداً. عدم شعبية ادريان اوليفنت في المنطقة القى بظل غامض خبيث على سلام وسعادة الحياة في الجزيرة. قالت لوسي:«الافضل لي المغادرة الآن.»

« لا، من فضلك لا تغادري الآن. آسف بشأن اختي، سامحيها ارجوك. لكني ارغب كثيراً ببقائك لبعض الوقت للتحدث معك.»

«اظن من الافضل لي المغادرة.»

« ارغب كثيراً بسماع اخبار انكلترا ومعرفة احوالها حالياً منك. ليت افروديت لم تقاطعنا.»

«لماذا يزعج اسم ادريان اوليفنت الجميع؟ لماذا جعل اختك غير الشقيقة تشهق بالبكاء؟»

اخذ نيكولاس نفسا عميقاً واجابها بصوت عميق:«بإمكاني اخبارك بالكثير اذا شئت انا ذلك...»

بدأ بكاء افروديت ونواحها يحزن لوسي لكنه كان يضايق نيكولاس. نظر نحو الفندق:«ارجوك اعذريني آنسة غريشام، عليّ الدخول والطلب من اختي التوقف عن ذلك. فهي لن تبك لاجله!»

تبكي لاجله... وحبست لوسي انفاسها. لاجل ادريان؟ لا شك، ان نيكولاس يعني ادريان ولا احد غيره! واوشكت لوسي على طرح السؤال عليه لكنه كان قد اختفى داخل الفندق، وبلحظة قررت لوسي بدورها الاختفاء، ستتابع سيرهاالى «بيلابيس». فقد امتعضت من البقاء والاستماع للنميمة حول مخدومها فيما هي تعيش تحت سقف منزله.

قال نيكولاس:«دعيني ارافقك اذن لو سمحت!اعرف كل شبر في ذاك المكان واستطيع ان اكون دليلك السياحي بمعرفتي لتاريخ بيلابيس القديم.»

«لك ذلك اذن.»

«آه، شكراً لك، سترافقنا افروديت، سأطلب منها ذلك.»

وسارع داخل الفندق، وجد اخته تغسل وجهها. فأمرها بالمجيء للتنزه معه ومع الآنسة الانكليزية وعليها الا تذكر اسم السيد اوليفنت مطلقا.

«لا رغبة لي بالذهاب،اتركني وشأني.»

«ستنفذين ما آمرك به، والا فستذهبين للعيش عند العمة كاليوب.»

كان هذا تهديداً قديماً، لكنه كان ينجح دوماً. فالعمة كاليوب كانت تعيش بمفردها في اثينا، والذهاب للعيش معها يعني ان تصبح افروديت بعيدة عن الناس في بيت معزول على تلة عالية لا يدخله احد.

تمتمت قائلة بملل:«حسناً، سأرافقكما يا نيكولاس، لكن

ماذا تفعل الفتاة الانكليزية في فيللا فينيشيا؟»

«انها مرافقة العجوز الجديدة.»

«اوليست هي خطيبته الجديدة؟»

كان سؤالها يحمل الكثير من التعاسة والحزن ولم يستطع نيكولاس الا ان يشعر بالشفقة على اخته الصغيرة الحبيبة. فاقترب منها واضعاً ذراعه حول كتفيها قائلاً:« لا، لا هو لم يخطب احداً. وهو ليس في كيرينيا. لذا ارجوك انسي امره وتعالي معنا، آفرو. الآنسة الانكليزية جذابة ، وجميلة وانا معجب بها.»

لقد رأى نيكولاس السيد اوليفنت طيلة الصيف الماضي، فهواية الاخير هي الرسم. وقد طلب من افروديت ان تكون عارضة للثوب القبرصي التقليدي. رأى نيكولاس اروع واضحم واجمل لوحة زيتيه لاخته وهي ترتدي ثوبا فولكلوريا قبرصياً مع العقد الذهبي الفخم المعروف والاقراط الكبيرة. وصمم نيكولاس على وضع هذه اللوحة الخلابة في بهو الفندق فور انتهاء ادريان من رسمها.

في تلك الايام كانت افروديت مجرد طفلة سعيدة في السابعة عشرة من عمرها. وقد وافق اهلها على ان تكون عارضة لادريان من باب الاحترام لآل اوليفنت وكجميل كريم يقدمونه للعائلة العريقة.

ومع ان افروديت بدأت تتلهف للذهاب الى استوديو الرسم واخذت تمتدح على الدوام السيد الانكليزي، لكن القلق لم يساور نيكولاس مطلقا. فالفتاة مجرد مراهقة صغيرة لا بد ان السيد اوليفنت سيضع حداً لها بحال تمادت. وفي ليلة باردة يصحبها رياح عنيفة تهب من قمم الجبال المكللة بالثلوج. ذهبت افروديت مع عائلتها لقضاء سهرة

مع الاصدقاء ولكن عندما هموا بالمغادرة لاحظ نيكولاس ان افروديت لم تكن موجودة.

وظل نيكولاس يبحث عنها طوال ساعة كاملة في كل ارجاء كيرينيا، لكنه لم يجد افروديت في اي مكان. ثم التقى نيكولاس باحد اصدقائه من رجال الشرطة الذي اخبره انه شاهد افروديت تدخل ممر فيللا فينيشيا قبل حوالي ساعة.

بعدم تصديق وبحر من الشكوك اتجه نيكولاس مباشرة الى منزل آل اوليفنت.

وكان مرسم السيد اوليفنت عبارة عن غرفة كبيرة مبنية في الحديقة الخلفية للفيلا. اتجه الفتى اليوناني الى هناك مباشرة وكان حدسه مصيباً ويا للهول. لم يكن ليصدق ذلك... لكن افروديت كانت هناك. رآها، كانت الانوار مضاءة وعبر النافذة الكبيرة الخالية من الستائر رأى نيكولاس كل شيء.

كانت جالسة على الكنبة، اما السيد اوليفنت فقد كان جاثياً قربها وممسكاً بيديها.

لم ينتظر نيكولاس ليفكر فما رآه يعبر عن الوضع ابلغ تعبير.ادريان اوليفنت مغرم باخته وهو من سمح لها بالمجيء اليه خلسة في الليل، دون اي اعتبار او تفكير بسمعتها. هو، من كان لديه خطيبة انكليزية معروفة جدا في المجتمع اللندني وتدعى الآنسة فاليري برايت.

فتح نيكولاس باب المرسم وقد اعماه الغضب وصب جام غضبه على ادريان اوليفنت. وبدأ ينعته نعوت مهينة ومنحطة. غطت آفروديت وجهها فوراً وشهقت بالبكاء بينما بدا السيد اوليفنت مذهولاً ومتفاجئاً. وحاول التفسير

لنيكولاس انه يرتكب خطأ فادحاً فيما يعتقد. لكن حين التفت نيكولاس الى افروديت رمت بنفسها بين ذراعيه واعترفت انها متيمة في حب السيد اوليفنت وانه هو من طلب اليها المجيء الى هنا الليلة. نفى ادريان ذلك بذهول وارتباك.

وقال:«قولي له الحقيقة يا افروديت.»

لكن كل ما رددته افروديت كان قولها انه هو من طلب اليها المجيء الى هنا.

ولم ينتظر نيكولاس سماع المزيد من اي من الطرفين، بل سار نحو اللوحة شبه المنتهية ومزقها ثم التفت الى من رسمها قائلاً:«لن تأت اختي الى هنا مطلقاً بعد الآن. واعلم ان صداقتنا ماتت منذ هذه اللحظة.»

منذ ذلك الحين لم يعبر ايا من عائلة اليستون بوابة فيللا فينيشيا. وعرف كل اهالي كيرينيا بما حصل وصار الجميع يتحاشى السيد اوليفنت الذي كان يوما ما محبوباً وشعبياً في البلدة وتضاعفت الحماية وتعززت الرقابة على افروديت من نيكولاس والجدين منذ ذلك الحين.

ثم انتشرت إشاعة اخرى في الجزيرة، مفادها ان الخطيبة الانكليزية سمعت بما حدث وفسخت خطوبتها من السيد اوليفنت. وبعد ذلك لم يعد احد في كيرينيا يشاهدها. واخبرت نيتا، خادمة السيدة اوليفنت، صديقاتها ان المرسم قد اغلق منذ ذلك الحين ولم يعد السيد اوليفنت للرسم ثانية ابداً.

بالنسبة للعقلية الصارمة والتقليدية للفتى اليوناني وعائلته فقد تصرفت افروديت بسوء واخطأت لكن السيد اوليفنت هو المسؤول عن ذلك. وتلك نهاية القصة.

www.lieberomanic.com

تلك كانت القصة التي يعرفها نيكولاس اليستون. ورغم مرور خمسة اشهر على تلك القصة الا انه لايزال يذكر كل تفاصيلها وكأنها حدثت الآن للتو. لكنه احترم رغبة لوسي بعدم التحدث عن السيد اوليفنت.

كانت بقية النهار ممتعة جداً للوسي. فقد جففت افروديت دموعها وقررت ان تكون ودود، ولأن لغتها الانكليزية كانت اقل بلاغة من لغة شقيقها كان يضطر نيكولاس احياناً للعب دور المترجم بينهما. وكان ايضاً خير دليل سياحي.

لم يسبق للوسي ان شاهدت اثراً قديماً بمثل هذه الروعة. تنهدت لوسي وقالت:«المكان رائع الجمال هنا، وينضح بالسلام والسكينة.»

هز ادريان كتفيه وقال:«رأيت المكان مئات المرات، كنت آتي وافروديت للعب هنا حين كنا صغاراً.»

«متى تم بناؤه؟»

«في القرن الرابع ميلادي.»

«منذ القرن الرابع!» هتفت لوسي بدهشة.

استدارت لوسي نحو افروديت وسألتها:«الا يثير هذا اهتمامك؟»

ردت الفتاة الشابة:« لا. بالنسبة لي هذا المكان حزين فأنا لا احب اماكن الآثار.»

ضحكت لوسي معقبة:«ولا انا ايضاً.»

اخرجت لوسي آلة التصوير وقالت:«ارغب بالتقاط صورة لكما هنا. قفا قرب الاعمدة لو سمحتما.»

وقبل نزولهما عن التلة والمغادرة ترك نيكولاس افروديت برفقة لوسي وذهب لمحادثة المسؤول عن الموقع الاثري.

ابتسمت لوسي للفتاة وقالت:«قد تأتين لزيارتي في يوم ما يا افروديت.»

ظهرت الدهشة على وجه الفتاة وتوردت وجنتاها ثم اجابت:«لا يمكنني الذهاب الى فيلا فينيشيا.»

عضت لوسي شفتها السفلى:«آه... فهمت....»

«آنسة... آنسة، ارجوك... هل ترينه؟ هل سيتزوج قريباً؟»

اجابت لوسي عن السؤال الثاني فقط قائلة:«هو لن يتزوج حالياً حسب علمي! لماذا هل لديه خطيبة؟»

تلألأت الدموع في عيني افروديت وقالت:«كان خاطباً... لكنهم يقولون الآن... ان كل شيء انتهى بينهما.»

«فهمت.»

«ارجوك يا آنسة، هلاّ اخبرته شيئاً عن لساني؟»

«اخبره ماذا افروديت؟»

«قولي له فقط...انني اذكره....»

شعرت لوسي ان هذا دليل على سر حميم. وقد شكرت حظها لوصول نيكولاس وتوقفت افروديت عن الكلام.

عادت لوسي بعد ذلك الى الفيللا.

ايعقل انه كان هناك علاقة حب بين مخدومها وبين افروديت؟ وماذا عن تلك الخطيبة المفترضة؟

الغموض يزداد، فكرت لوسي وهي تدخل باب الفيللا لتجد ادريان اوليفنت جالساً في الصالون مع والدته.

الفصل الثالث

حيّت السيدة اوليفنت لوسي بحرارة.
«تعالي يا عزيزتي، اظن الشاي قد برد لكن اطلبي من لوكاس اعداد ابريق آخر لك. اليست هذه مفاجئة مدهشة؟ كان ولدي في القاهرة وقد مر بي ليراني قبل ذهابه الى اثينا.»
ظلت لوسي واقفة بخجل مكانها مدركة لمدى تشعث شكلها بعد رحلتها الاستكشافية. نزعت نظارتها وتمتمت مرحبة بأدريان:«آه، اهلاً... اعذراني، لكن علي الذهاب لتغيير ملابسي.»
جلس ادريان مجدداً وهو يشعر ببعض التسلية. لوسي التي شاهدها الآن تختلف تماماً عن الفتاة المتزمته التقليدية التي احضرها الى هنا لتكون مرافقة والدته.
استدار الى والدته وسألها:«إذن الآنسة غريشام هذه ناجحة في عملها؟»
«نجاحاً باهراً يا حبيبي، هي حقا افضل كثيراً من المسكينة ليتل، فالاخيرة لم تكن تقوم بالكثير لاجلي، لكن لوسي متعلمة اكثر ومسلية اكثر بكثير ايضا.»
«والألم ليس قوياً هذه الايام امي؟»
«الوضع على حاله يا حبيبي، لكن لدي الكثير لأكون شاكرة لله.»
«حين تتكلمين بهذه اللهجة اشعر ان الدنيا كلها بخير.»
انحنت والدته نحوه ولامست وجهه بحب وقد لون الحزن

عينيها وسألته:«الم تجد راحة البالِ بعد يا ادريان؟»
ابتعد عن تلك اللمسة وتلك النظرة قائلاً:«انا بخير يا امي. انا سعيد كونك مسرورة ومستقرة. فهذا هو كل ما يشغل بالي.»
فتح الباب ودخلت لوسي. راقبها ادريان وهي تدخل فيما هو يستدير للجلوس قرب والدته. كانت جميلة ونظيفة ثانية وهي ترتدي ثوباً زهريا من الحرير. تذكر قولها له عن الألم في عينيها جراء عملها في السفارة، لكن يبدو ان اسابيعها الثلاثة هنا قد شفت هذا الالم وعاد البريق واللمعان الى عينيها.
سألها:«اذن الا زلت مغرمة بالجزيرة؟»
«اكثر واكثر. انها مكان خلاب يا سيد اوليفنت.»
«لوسي لا تتعب مطلقاً من السير والتنزه على الاقدام.»
تابعت السيدة اوليفنت بمرح:«اظنها قادرة الآن على كتابة موسوعة كاملة عن كيرينيا.»
«اظنك شاهدت بيلابيس وهيلاريون؟»
«كنتِ في بيلابيس هذه الامسية.»
«حقا، انه مكان اثري جميل.»
اعترفت لوسي لنفسها ان السيد اوليفنت يثير في داخلها بعض الحيرة! فبعد الملاحظات ذات المعنى التي قالها عنه آل اليستون وبعد رد فعل كل اهالي كيرينيا، لازالت تشعر بوجود خطأ ما! وطبعاً لا شيء سيجبرها على نقل تلك الرسالة الغامضة من افروديت اليه!!
كانت وجبة العشاء ممتعة فعلاً. ولاحقاً فيما كان يحتسي القهوة مع والدته، قامت لوسي بالعزف لهما على البيانو. وقد اطفأ لوكاس الانوار مبقياً على الشموع المتوسطة

الإضاءة. وفيما كانت لوسي منشغلة بالعزف، جال نظر ادريان نحوها خلف البيانو الفخم. وبشبه امتنان كان يستمع للنغمات، فالفتاة كانت تعزف بالطريقة التي يفضلها بالضبط. بلمسة رقيقة، بإحساس عميق وبموهبة طبيعية صِرفة.

وتدريجياً سيطر الاحساس بالسكينة على كل جوارحه.

ثم فجأة اصبحت الموسيقى رومنسية بشكل لا يحتمل. كره ادريان ذلك وقاطعها دونما سابق انذار قائلاً:«شكراً لك، لكن يكفي هذا. انا خارج لتنشق بعض الهواء النقي.»

نهضت لوسي وقد غمرها الخجل.

«انا بالغة الأسف. لقد عزفت لفترة طويلة...»

« على الاطلاق يا عزيزتي. فالعزف والاستماع للموسيقى كان ممتعاً وانا واثقة ان ولدي استمتع بذلك فعلاً.» قالت السيدة اوليفنت ذلك ورمت ادريان بنظرة مؤنبة.

«تعزف الآنسة غريشام بطريقة جيدة جداً. سامحيني لو تركتك الآن فأنا بحاجة للتنزه خارجاً.»

ثم رحل. سارت لوسي ببطء نحو السيدة وقالت:

«اخشى انني بالغت في العزف لفترة طويلة. لكني لم ألحظ مرور الوقت.»

«لا يسعك ابداً العزف لفترة كافية بالنسبة لي ولا تهتمي لادريان. فهو شخص غريب الاطوار.» ابتسمت بحزن متابعة:«يصعب علي انا امه فهمه احياناً، لكنه مرّ بالكثير من المتاعب في السابق.»

عضت لوسي على شفتها. تلميح آخر لماضي السيد اوليفنت الغامض. متى ستعرف بعض الحقائق؟؟

ثم وباندفاع عفوي سألت لوسي السيدة اوليفنت:«أنا...

لا ارغب بإخفاء الاسرار عنك سيدة اوليفنت. لكن احدهم في كيرينيا ذكر ان للسيد اوليفنت خطيبة، فهل تجدينني فضولية بسؤالك عن ذلك؟»

«لك كل الحق بسؤالي عن ذلك الآن بعد ان اصبحت فرداً من العائلة. بالطبع الناس في مجتمع صغير مثل كيرينيا يعشقون الثرثرة والأقاويل. لكن... ولدي غير مرتبط. كانت له خطيبة فيما مضى، اما الآن فلا.»

«شكراً لك لاطلاعي على ذلك.» ردت لوسي بارتباك، وادركت ان ذلك الجزء من قصة افروديت كان صحيحاً!!

ساعدت لوسي السيدة اوليفنت بالخلود الى الفراش ثم عادت وحدها الى الصالون وهي تشعر بعدم الراحة. لا يمكنها الخلود للنوم بدورها بعد.

جلست واغمضت عينيها. لا شك انها غفت بعمق فحين فتحتهما لاحقاً صدمت لوجود ادريان واقفاً امامها وعيناه تنظرانها بابتسامة شبه ساخرة.

غمرها الخجل والارتباك ونهضت قائلة:

«آه آسفة...»

«علام؟»

«لا يجدر بي النوم هنا.»

«لست ممنوعة من النوم اذا ما شعرت برغبة في ذلك يا فتاتي الصغيرة. لكن الوقت تأخر انها الحادية عشرة والنصف. استغرقت نزهتي ساعة ونصف.»

نظرت لوسي الى ساعة الحائط بدهشة وقالت بصدمة:«آه ! لكم تأخر الوقت.»

«علي القول انني مستعد للنوم الآن. على فكرة لا تعتقدي انني لم استمتع بعزفك الليلة. اخشى انني كنت فظاً بعض

الشيء، لكن طريقتك في العزف اعجبتني كثيراً حقا. عزفك جيد يا لوسي.»

وقفت امامه وقد جف ريقها. هذه هي المرة الاولى التي يناديها فيها باسمها الاول.

عاد ليسأل:«اخبريني هل التقيت بالكثير في كيرينيا؟»

اجابت:«بعض اصدقاء السيدة والدتك. وفتاة انكليزية كنت اعرفها في السفارة في القاهرة والتي بقيت هنا ليومين فقط في طريقها الى جزيرة بلا تراس.»

«تلك الجزيرة رائعة في الصيف.»

«وطبعا بدأت بالتعرف على بعض الاهالي المحليين، القبارصة.»

«حسناً، انت بحاجة دون شك لرفقة شابة بين الحين والآخر فأنت لن ترغبي بقضاء كل وقتك مع والدتي لكن لا تعمقي صداقاتك مع ابناء الجزيرة بل ابقها سطحية قدر المستطاع.»

ردت لوسي قائلة:«لكني اجدهم رائعين.»

«قد يستغلون تلك الصداقة، وهذه عادة مألوفة لديهم.»

شعرت لوسي برغبة جامحة في معارضته فقالت:«آه،حقاً، انا لا اجدهم كذلك مطلقاً، اعتقد القبارصة اكثر الناس تهذيباً واحتراماً.»

أجابها بحنق:«اظنني اكثر معرفة لهم منك. ما كنت لاصادقهم بعمق، هذا ما اقوله وهذا ما اصر عليه.»

كرهت لوسي نبرته هذه وتدخله في شؤونها الخاصة، فاجابته:

«لقد تصادقت مع شخص محلي جيد ومهذب اليوم. وهو يمتلك فندقاً ما، اصطحبني الى بيلابيس وعرض مرافقتي

الى سانت هيلاريون ايضاً، ولا ارى مانعاً من السماح له بذلك. فانا وحدي من اختار اصدقائي.»

وفور انتهائها من كلامها رأت نظرة الشك المرعبة في عينيه، وعاد للقول بغضب:«ومن هو هذا الشخص الذي يعرض خدماته كدليل سياحي؟»

خانتها شجاعتها وندمت على الانجرار الى هذه المحادثة، لكنها وحدها الملامة بهذا.

«هو يملك فندقا على الطريق المؤدي الى بيلابيس. واسمه نيكولاس اليستون.»

عم الصمت المطبق. وكأنها اطلقت رصاصة مدوية داخل الغرفة الهادئة، جمد للحظات ثم قال:

«لا يسمح لك تحت اي ظرف من الظروف دعوة نيكولاس اليستون او شقيقته او اي من اصدقائهما الى فيللا فينيشيا، ولا يجدر بك ذكر اي من اسمائهما امام والدتي. ارى بوضوح ان لا سلطة لي على شؤونك الخاصة وعلاقاتك، لكن لي مطلق الحق باختيار من يدخل منزلي.»

ردت لوسي بحرارة:

«لا نية لدي بدعوة اي منهما الى هنا. ولا بذكر اسمائهما امام السيدة والدتك، اذا اعتقدت ان ذلك سيزعجها.»

«اجل سيزعجها، والاكثر من ذلك، انصحك بألا تكون لك اي صلة بآل اليستون هؤلاء.»

سألت لوسي بعناد:«لماذا؟»

«هذا شأني الخاص.»

«لا بل شأني انا ايضاً. انت تطلب مني الابتعاد عن هؤلاء الاشخاص الذين اجدهم ودودين.»

فتح ادريان اوليفنت فمه ليقول شيئاً، الا انه وبتعبير نفاد

صبر غاضب استدار وغادر الصالون مغلقاً الباب خلفه.
لم تشاهده ثانية بعد ذلك، فقد ترك الفيللا وذهب الى اثينا قبل نزولها الى الطابق السفلي صباح اليوم التالي.
ليتها لم تذكر اسم اليستون لادريان، فقد بدأ السيد اوليفنت يقلق راحة بالها.
كلما فكرت بالامر اكثر وهي تتابع اعمالها الروتينية في الفيلا بذلك اليوم المشمس، سارعت اكثر فاكثر الى الاستنتاجات المتسرعة.
واحدى تلك الاستنتاجات كانت ان السبب وراء كره ادريان لنيكولاس انه كان مذنباً حقاً في حق افروديت.
لكن ما دور خطيبته السابقة بكل هذا؟ ماذا عنها؟
وكأن القدر كان يستمع لسؤالها فقد عرفت في ذات اليوم المزيد عن ماضي ادريان اوليفنت.
فبينما كانت تتمشى في الحديقة بعد الغداء، وصلت الى غرفة كبيرة مقفلة في الفناء الخلفي. هذه غرفة مرسم ادريان اوليفنت اخبرتها والدته انه هجر الرسم منذ نقل مكتبه الرئيسي الى اثينا. مع ان اللوحات التي رأتها لوسي له والموجودة في غرفة نوم والدته تظهر موهبته الفذة وحسه الفني الرائع والمخبىء تحت مظهر «رجل الاعمال الحازم.»
لاحظت لوسي ان مصراع احدى النوافذ الخشبي كان مفتوحاً كلياً. فاسرعت لوسي الى الحارس وسألته عن ذلك.
قال بدوره انه لاحظ ذلك وافترض ان السيد دخل المرسم هذا الصباح ونسي اغلاق المصراع. لدى السيدة الأم مفتاحاً اضافياً.

ذهبت لوسي الى السيدة اوليفنت واخبرتها بذلك.
«الافضل لي الذهاب واقفال مصراع النافذة الخشبي، اليس كذلك؟ الغرفة في اسفل المنزل وقد تغوي اي لص بالسرقة.»
وافقتها السيدة اوليفنت على ما تقول واعادت على مسامعها ما قاله الحارس. الارجح ان ادريان دخل المرسم قبل سفره ونسي اغلاق النوافذ.
اعطت المفتاح للوسي وقالت:
«اذهبي واقفليه يا عزيزتي. لكم تمنيت متابعته لهواية الرسم، فهو فنان حقيقي وموهوب.»
بعد لحظات قليلة كانت لوسي تقف وحدها وسط المرسم كان الضوء المنبعث من النافذة يضيء الجدران البيضاء المغطاة باللوحات الزيتية العديدة، ويظهر الطاولة المليئة بالألوان ومعدات الرسم، وحامل اللوحات وسط الغرفة والكنبة الكبيرة. بشعور غامض من الإثارة سارت لوسي ببطء داخل المكان متفحصة كل تفاصيله.
لاحظت ان معظم اللوحات المتناثرة على الجدران كانت صوراً لاشخاص.
رأت لوحتين كبيرتين وجههما للحائط فشعرت برغبة لرؤيتهما، فرفعت الاولى، تسارعت نبضات قلبها، شعرت فجأة بالحر الشديد وبالخيبة. حملت اللوحة الى النافذة حيث الإضاءة افضل.
كانت هذه لوحة لافروديت، الفتاة اليونانية الجميلة. كانت مستلقية على الكنبة الطويلة والشال الاسباني على كتفيها وفي اذنيها قرطين من الذهب البراق.
حدقت لوسي باللوحة لفترة طويلة، ثم تناولت لوحة اخرى

واخرى واخرى. كانت جميعها لافروديت، افروديت بملابس مختلفة ومزاجات متنوعة، لكنها كلها رائعة وجذابة. وقفت لوسي تحدق في اللوحات ثم ادركت بلحظة جنونية انها تشعر بالغيرة!! الغيرة من جمال الفتاة اليونانية! الغيرة من اهتمام ادريان بها فيما مضى! الغيرة من الساعات التي قضياها معا هنا اثناء جلسات الرسم!! الغيرة؟؟ لكن لماذا؟ سيطر الرعب على لوسي فجأة فاستدارت على عجل مغادرة المكان بعد ان اقفلته جيداً.

وجدت نفسها تحدق في وجه ادريان الغاضب. امسك بذراعها وسمعت صوته الهادىء الخبيث يقول:«ما الذي كنت تفعلينه في الداخل؟ تركت اوامر تقضي بعدم اقتراب احد من تلك الغرفة بالذات.»

شهقت بدهشة وتمتمت:«آه، ظننتك.... غادرت.»

«هذا ما يبدو جلياً. من اعطاك المفتاح؟»

«والدتك. تركت مصراع احدى النوافذ مفتوحاً تماماً وكان بامكان اي كان التسلل الى الداخل، كان عليّ الذهاب لإغلاق النافذة.»

اختفت ملامحه الغاضبة وقال:«اذن هكذا هو الامر.»

«نعم والآن اعتذر مني فوراً.» اصرت لوسي بطفولية:

«انت حقا لا تطاق حتى كأنك تتهمني بسرقة المفتاح للتسلل والنظر الى مرسمك.»

فجأة بدا وكأن عينيها الغاضبيتين ووجهها المتورد يثيران تسليته. فقد ضحك وقال:

«يا لك من فتاة نارية لكنك محقة تماماً. انا لا اطاق فعلاً واعتذر عن ذلك، في الحقيقة يا لوسي اتيت الى هنا من نيقوسيا بنية الاعتذار منك عن ليلة البارحة.» آه، لا. تابع

بسرعة حين رأى جحوظ عينيها بغير تصديق:«لا تتخيلي انني الغيت رحلتي لأعود واعتذر منك. فأنا لن افعل ذلك قطعاً. لكن بوصولي الى نيقوسيا علمت بتأخر رحلة طيراني بضع ساعات بسبب عطل ما في الطائرة. لذا فضلت العودة وقضاء هذا الوقت هنا لا في المطار.»

«كي تتصرف بفظاظة معي كما هي عادتك.»

قال ضاحكاً:«اثرت غضبي ليلة البارحة جراء ذوقك الرديء باختيارك آل اليستون كأصدقاء لك.»

«ذوق رديء؟ ذوق كان لك مثله في السابق اليس كذلك؟»

«هذا صحيح. لكني اريدك ان تعرفي ان لدي اسبابي المنطقية لنعت ذلك الذوق بالرديء.»

«هل من داع لقلقك من الصداقات التي قد اقيمها في الجزيرة؟ طالما لا اسأل الناس هنا عمن تحب او تكره انت او والدتك، الست حرة في التعامل معهم؟ ان لم اكن حرة فأرجوك ابلغني حتى اعيد صياغة افكاري حول وضعي في هذه الوظيفة. انا معتادة على التمتع بحريتي الشخصية.»

هز كتفيه قائلاً: « يا له من خطاب مميز عزيزتي لوسي. لك الحرية باختيار اصدقائك. لكني آسف لاختيارك آل أليستون، هذا كل شيء.»

بقيت صامتة. فتابع هو يقول:«المكان شديد الحرارة هنا وانت لا تعتمرين قبعة. اعطني المفتاح لوسي. تعالي الى المرسم وحدثيني لبعض الوقت.»

تبعته لوسي وقد خامرها شعور مثير.

فتح كل النوافذ والمصاريع سامحاً لكل ضوء النهار بملء الغرفة الكبيرة. جال نظره بما حوله، ثم نظر اليها

بابتسامة ساخرة:«انت تقفين يا عزيزتي في عرين رجل اراد ان يصبح فناناً مشهوراً. وهو الآن صاحب ومدير شركة شحن ملاحية مهمة جداً. مضى على وجودك في الجزيرة اسابيع قليلة. الم تسمعي همساتهم عني وعن الوحش البغيض الذي كنته، او الذي لا زلت عليه؟ الم تسمعي؟»

اعترفت قائلة:«صحيح ان الناس تثرثر دوماً، لكن هذه هي حال الجميع، الجميع معرض للانتقاد في مثل هذا المجتمع الضيق هنا. خاصة حيث يكون الشخص شخصية مهمة مثلك.»

استدار وواجهها متسائلاً:«لماذا انا شخصية مهمة يا لوسي؟ ما الذي فعلته في عيون القبارصة؟ لدي المال والسلطة لأنني صاحب شركة شحن اسسها والدي ودعمها بالنجاح لسنوات. اردت ترك العمل والتفرغ للرسم. اردت النوايا الطيبة من اصدقائي والحب والثقة ممن كانت ستصبح زوجتي، وعلام حصلت؟ انت اخبريني لا شك انهم اخبروك. لا بد انك تعرفين ما يقولون عما يعتقدون انني سبق وفعلته في هذه الغرفة!!»

ازاح الألوان والادوات عن الطاولة بحركة غضب وتناثر كل شيء على الارض بصوت قوي. نظرت لوسي الى كل تلك الاشياء بجمود. لم يكن لديها ادنى فكرة عما يجب عليها قوله او فعله.

سمعت صوته ثانية وهو يقول:

«انا اخيفك اليس كذلك يا لوسي؟ عليك ان تسامحيني. اظنني غاضباً بعض الشيء. سنترك الامر عند هذا الحد، حسناً؟»

ثم وجدت لوسي بدورها صوتها وقالت:«لن اقول ان بك اي مس من الجنون. وايضاً انت لا تخيفني.»

«هذا يثير دهشتي.»

«لماذا؟ هل تريد فعلاً ان تخيفني؟»

رفع نظره اليها. واضح انها لا تشعر بالخوف.

سمع نفسه يقول لا ارادياً:«انت فعلاً لطيفة جداً، لوسي كما وانك تتمتعين بالشجاعة والجرأة.»

«وانت بدورك لطيف ايضاً فقط حين تريد. لكن يمكنك ان تكون...»

انهى جملتها قائلاً: « وحشاً.»

«هذه بالاحرى كلمة مبالغ بها.»

«انت حريصة جداً وتقومين بوزن كل كلمة قبل التفوه بها.»

اجابته قائلة:«اظن ذلك.»

«لكنك لم تخبريني بعد بما سمعته عني.»

«اتريد ان تعرف حقاً؟»

«لا، لا آبه حقا لما يقولونه او يخفونه في كيرينيا. انتهيت من هذه المسألة تماما كما انتهت هي مني.»

«آه، هذا غير صحيح! لا يمكنك الانتهاء من هكذا مكان رائع.»

«جزيرة الحب؟» قال بضحكة ساخرة:«شكرا لك بإمكانك الاحتفاظ بكل اوهامك حول الجزيره وحول كل شيء بالنسبة لي انها جزيرة كئيبة.»

«انت لا تعتقد ذلك حقاً.»

«لن اوضح السبب الآن، سنعقد اتفاقاً معاً. انت تختارين اصدقائك ولن اعلق على ذلك ابداً، شيء واحد فقط يثير

قلقي، لا اريد لامي ان تشعر بأي انزعاج او امتعاض جراء اي قصة قد تسمعينها عني.»

سارعت لوسي للقول بصدق:«لن اقوم مطلقاً بترديد اي شائعة او نميمة على مسامع السيدة اوليفنت العزيزة.»

رقت ملامح ادريان وسألها:«انت تحبينها اليس كذلك؟»

«اظنها امرأة غير عادية.»

«وانا كذلك ايضاً.» وافقها:«المكان هنا يلائم صحتها وقد عبرت عن رغبتها بالبقاء هنا. وهنا ستبقى رغم كل ما يعنيه ذلك من تعب وإرهاق لي نظراً لكون اعمالي كلها خارج هذه الجزيرة، وانا حقاً ممتن للحب الذي تظهرينه لها. لم تكن يوماً راضية كما هي الآن تحت رعايتك، اشعر ان هذه تضحية من جانبك، فالمكان ليس مرحاً جداً لك هنا.»

«تعلم جيداً انني بالغة السعادة .»

تنهد قائلا:«آه، حسناً، سأذهب لرؤية امي.انسي هذه المحادثة يا لوسي، تعالي، لا ارغب البقاء في هذا المكان لدقيقة اخرى. اظنني سآمر بحرقه.»

«لا يجب ان تفعل ذلك، من المؤسف انك لم تعد ترسم! فلوحاتك رائعة و...»توقفت بارتباك.

«اذن لوسي الصغيرة كانت تنظرالى اللوحات.»

«آه... انا ... آمل الا تمانع في ذلك، فقد نظرت الى بعض لوحات الاشخاص هنا.»

«حشرية المرأة المعتادة.»

شاهدت ادريان يتجه الى كومة من اللوحات ويركلها بقدمه. واحدة تلو الاخرى، تناثرت على الارض، ووجهها الى الاعلى، وجه افروديت بكل جمالها وفتنتها .

قال:«صديقة حميمة سابقة لي. اليس هذا ما اخبرك اياه اهالي كيرينيا؟»

ارتبكت لوسي فأضاف:«لا تهتمي. اتفقنا الا اتحدث عن الماضي، كنت اعتقد ان هذه اللوحات جيدة. افروديت بلا قلب، بلا عقل.» وركل ثانية اللوحة وهو يضحك.

جمع ادريان اللوحات واحدة تلو الاخرى وكومها في احدى الزوايا.

صرخت لوسي به:«لا تدمرها ارجوك.»

«ولم لا؟ فقد دمرتني، سأجعلها وقوداً للمدفأة في المره القادمة التي اعود فيها للمنزل. وستأتين وتشهدين على ابتلاع النيران لها.»

«انت مجنون! لا يحق لك تدمير الاعمال الفنية.»

لوحة اخرى كان وجهها للحائط، لوحة اكبر حجماً من كل الاخريات، سقطت على الارض فجأة.

لم يتحرك ادريان لالتقاطها. كان يشعل سيجارة اخرى. لا شعوريا اتجهت لوسي اليها وادارتها نحوها. للحظة تعلقت عيناها بقوة بها. هذه لم تكن للفتاة اليونانية. كانت فتاة اخرى، فتاة من نوع آخر تماماً. كانت هذه قطعة فنية غير عادية.

في اللحظة التالية دفع ادريان اوليفنت لوسي جانباً واعمل كعب حذائه في اللوحة تمزيقاً وتحطيماً.

صرخت لوسي به:«لا، لا تفعل ايها المجنون.»

«ظننتني احرقت كل لوحاتها،افروديت شيء اما هي...»

«لكنها لوحة رائعة، الاروع بينهم جميعاً.»

«الاروع بينهم جميعاً.» ردد كلماتها:«اجل، هذا ما كنت اعتقده بدوري. كانت آفروديت بلا ثقافة اما فاليري

فكانت صبية واعية متعلمة ومثقفة. آفروديت كانت حمقاء اما فاليري فلا. كانت شديدة الذكاء، لكن دون اي حس بالاخلاص والوفاء، كانت مخادعة بقدر ما هي جميلة! هناك بعض المبررات لما فعلته آفروديت، لكن لفاليري، لا... مطلقاً.»

حمل ادريان اللوحة المحطمة وقال:«قابلي الآنسة فاليري برايت، من كانت ستصبح زوجتي. هي الآن متزوجة من رجل امريكي يفوقني ثراء بعشرات المرات. وسمعت ان المال يعوضها تماماً عن القلب الجريح. انتهت خطوبتنا فور ان اخبرها اهالي كيرينيا عن علاقتي مع آفروديت والذي كما قالوا حدث هنا في هذا المرسم.» هدأ ادريان قليلاً وتابع:«آسف يا لوسي. لقد ازعجتك الآن كما ازعجت نفسي. قد اتمكن يوماً ما من مناقشة هذه المسألة بهدوء، ودون اي ضغائن، اما الآن فلا تتسرعي بالحكم عليّ مهما كان ما ستسمعينه عني.»

سار الى باب المرسم وفتحه لها.

قال:«سألحق بك بعد قليل يا لوسي. اخبري والدتي بعودتي والسبب الذي دفعني للعودة من فضلك. واخبريها ايضا انني في طريقي اليها على الفور.»

الفصل الرابع

بعد شهر كامل وفي صباح حار من شهر يونيو اصطحبت لوسي السيدة اوليفنت الى بقعتها المفضلة في الحديقة.

مظلة في الطرف الغربي للحديقة تعلوها عرائش العنب وتحيط بها اشجار السرو فيما امامها مباشرة تنتشر الازهار الانكليزية الصغيرة المتعددة الألوان.

اعطت لوسي السيدة ادواتها للكتابة واصلحت من وضع المساند خلف ظهرها فيما احضرت نيتا ابريقاً من الليموناضة الطازجة اليهما.

قالت بلانش اوليفنت:«اصبحت بلون الهنود الآن وقد كنت شاحبة اللون قليلاً حين اتيت الينا.»

ابتسمت لوسي لها وردت قائلة:«اشعر بالراحة التامة هنا، في مصر الشمس حارقة وعليك الاختباء منها. لكني اعشق الخروج تحت شمس كيرينيا هنا.»

«حسناً، هذا يسعدني حقاً يا عزيزتي، لكن لا تنسي ان تعتمري القبعة وسط النهار والنظارات الشمسية مع ان عينيك قد تحسنتا كثيراً الآن.»

صعدت لوسي بعد ذلك لاحضار ثوب سباحتها، فهذا هو يوم عطلتها. لم تعد دون اصدقاء هذه الايام فقد اصبح لديها صديقين دائمين. هما فتاة امريكية تدعى كارول وزوجها ديكس دكستر.

كان ديكس اغلب الاحيان خارج كيرينيا بدافع العمل وكانت كارول بالغة السعادة بصداقة لوسي.

السيدة اوليفنت احبت آل دكستر بدورها. وقد استضافتهما مرتين الى العشاء في الفيللا.

لم يعد ادريان الى المنزل منذ اربعة اسابيع . ذهب الى اثينا ثم الى السودان لمعالجة مشكلة طارئة ما في العمل. كانت لوسي تسمع اخباره على الدوام من والدته.

وادركت لوسي ان طموح نيكولاس الوحيد هذه الايام هو ان تعتبره صديقها المقرب. فمهما فعل ماكان ليرضيها. وكانت تزعجه بصدها له حيث كان يصبح عاطفياً. وقد شجعتها كارول على علاقتها به.

«انت متزمتة وصارمة يا عزيزتي لوسي.» كانت كارول تخبرها:«تحتاجين الى علاقة حب كي تصبحي اكثر مرحا وانفتاحاً، علاقة حب تطير بك عن الارض.»

«ليس مع نيكولاس بالطبع.»

«ولم لا؟» ناقشتها كارول:«هو بالغ الوسامة، شديد اللياقة ولديه المال.»

ضحكت لوسي لكنها فكرت بكلام صديقتها، فقد ادركت يوما بعد يوم انها بحاجة لما هو اكثر من هذا. شيء حقيقي وملموس يشعرها بأنها امرأة.

كانت ستتناول الغداء اليوم في فندق دوم برفقة كارول ثم سيأتي نيكولاس لاصطحابهما بسيارته الى قلعة هيلاربون.

سبق للوسي ان رأت سانت هيلارتون لكنها ما كانت لتكتفي من رؤية هذا المكان الرائع. فقد وجدته من اروع واجمل الاماكن في كل قبرص. قلعة خيالية على قمة الجبل تعلو عن سطح البحر الفي قدم.

كانت كارول مصرة على اجراء بعض التغييرات في شكل

لوسي الخارجي .وكونها فتاة امريكية عصرية فهي كانت تعرف كل الطرق والاساليب لذلك. فقد غيرت كلياً نظر لوسي الى الملابس، واقنعتها بعدم رفع شعرها ابداً ككتلة خلف رأسها. وقد ابدى نيكولاس اعجابه الشديد بمظهرها الجديد.

* * *

انتهت من ارتداء ملابسها ثم وضعت القبعة والنظارة الشمسية وفق نصيحة السيدة اوليفنت العزيزة واتجهت نحو فندق دوم لملاقاة كارول وديكس.

كانت كارول بانتظارها في الفندق. تتحدث مع فتاة اخرى، لكنها نهضت وسارعت لاستقبال لوسي فور وصولها.

«اسمعي يا حبيبتي.» قالت كارول لها:«اتظنين سيارة نيكولاس تتسع لشخص اضافي؟ اذا لم يكن ذلك ممكنا فاخشى انني مضطرة لالغاء مشاريعنا نظرا لوصول بعد الاصدقاء بصورة مفاجئة. فقد تم ارسال احد اصدقاء ديكس في العمل الى قبرص لعقد اجتماع عمل مهم. اسمه بوب فاندرلايت وهو شخص بالغ الاهمية وتستطيعين القول انه رئيس عمل ديكس. اتى من الولايات المتحدة الى كيرينيا برفقة زوجته وسيبقيان هنا حتى آخر الشهر.»

ردت لوسي قائلة:«انا واثقة ان السيارة ستتسع فلا داع لتغيير خطتنا.»

ابتسمت كارول وتأبطت ذراع لوسي قائلة:«السيدة فاندرلايت انكليزية ، انها جميلة جداً، ستعجبك، وهي تعرف قبرص تماما فقد سبق لها زيارتها برفقة والدتها، لكن لسوء الحظ تقول انها تحمل عن الجزيرة ذكريات مؤلمة بعد ان مرت بعلاقة حب تعيسة بها، لكني اخبرتها

اننا سنجعلها تنسى ذلك، وسنضحكها على الدوام.»
«انت من سيضحكها بالطبع بمرحك وخفة د مك.»
ضحكت كارول لتعليق صديقتها وسارت بها داخل البهو.
فجأة تجمدت الدماء في عروق لوسي تبعا للمفاجأة والصدمة. فالمرأة التي كانت كارول تتكلم عنها قبلا باسم السيدة فاندرلايت... ...تعرفها!! هذه هي ذات الفتاة صاحبة اللوحة التي مزقها ادريان بقدمه. انها هي...هي بعينها.
«فاليري هذه صديقتي لوسي غريشام.»
فاليري! السيدة فاندرلايت هي فاليري برايت، فقد تزوجت الامريكي الثري بعد فسخ خطوبتها مع ادريان اوليفنت.
صافحت فاليري فاندرلايت لوسي دون اي حماس. كانت مصافحتها من النوع البارد الذي أثار غيظ لوسي.
استدارت لوسي الى كارول وقالت:«اواثقة من رغبتك بمرافقتنا الى هيلاريون، لربما تفضلين البقاء هنا مع اصدقائك؟»
«لا، بالطبع لا.» ردت كارول:«سنذهب الى هناك معاً. ستعجب فاليري بها دون شك.»
تناولت فاليري الحقيبة الجلدية البيضاء الفاخرة عن الطاولة واخرجت منها مرآة وقلم تخطيط شفاه ذهبي اصلحت به اللون على فمها ثم تفحصت رموشها الاصطناعية والشعر المرفوع عن وجهها.
فجأة رفعت نظرها عن مرآتها باهتمام مفاجيء وسألت:«ما اسم هذا اليوناني؟»
اجابتها لوسي:«اليستون. وهو يدير فندقاً جميلاً على طريق بيلابيس.»

التمعت عيناها وقالت :«نيكولاس! نيكولاس اليستون؟ اذن هو لا يزال هنا.»
سألتها كارول:«وهل تعرفينه؟»
«اجل، هو وشقيقته الضفدعة.»
حبست لوسي انفاسها، ما الذي ستسمعه بعد هذا؟ كانت محقة بشأن هوية فاليري اذن.
ضحكت كارول وقالت:«وما خطب افروديت؟ انها غجرية صغيرة بالغة الجاذبية. اين هي من وصفها بالضفدع؟»
«آه تلك قصة طويلة. كنت آتي الى قبرص برفقة والدتي كثيراً اثناء خطوبتي.»
«كنت مخطوبة لشخص هنا في قبرص؟» سألت كارول باهتمام دون ان تلحظ انها الوحيدة بين الثلاثة التي كانت تتصرف بمرح .
«طبعاً! لشخص يدعى ادريان اوليفنت. اسبق ورأيته؟»
اطلقت كارول صافرة طويلة وقالت:«ادريان؟ حقا؟ ذاك الرجل؟!. لم اظن للحظة ان فكرة الخطوبة واردة لديه تبعاً لطبعه الجاف!! انه من النوع الكئيب النكدي. اعتقدته من العزاب الابديين، اكنت تعلمين انه كان مخطوباً في ما مضى يا لوسي؟»
كان وجه لوسي الصغير كالقناع. فقد عادت الى ذاكرتها كل الاشياء التي قالها ادريان في مرسمه... «اجل كنت اعلم.»
استدارت الآن فاليري اليها وسألت:«وما الذي تعلمينه ايضاً غير ذلك؟»
نظرت لوسي اليها شزراً وسألت:«اليس من الافضل لنا الذهاب للسباحة الآن ان كنا سنحظى ببعض الوقت قبل الغداء؟»

«بالطبع.» وافقتها كارول فوراً:«هيا بنا. الا تريدين مشاركتنا السباحة يا فاليري؟»

«لا. شكراً، سأكتفي بالمراقبة.»

قالت كارول للوسي بعدما ابتعدتاعن فاليري:

«اعتقدت فاليري ظريفة حين التقيتها للمرة الاولى، لكن مع الوقت بدأت نظرتي اليها تتغير، لكن بما انها زوجة مدير ديكس، فعلي برأيي لنفسي، كيف وجدتها انت؟»

«متعة للنظر لكني لن اقول انها لبقة.»

قالت كارول بقهقهة:«لدي اصدقاء في بلدي يعرفون فاندرلايت ويقولون ان بوب مجنون بحب زوجته لايرفض لها طلباً، احياناً اعتقد ان هذا هو الصحيح في الحياة، ان تخطفي ما تستطيعينه منها والا تحبي احداً الا ذاتك.»

«انت لا تعنين ذلك يا كارول، فأنت تملكين قلباً طيباً دافئاً.»

«طبعاً وهذا ما يوقعني دوماً في المشاكل.» ردت كارول ضاحكة:«ماذا عنك؟ الم تقولي ذاك اليوم انك تتحسسين الاشياء بطريقة عميقة وعاطفية؟»

«ربما.لكني افضل ان اكون كذلك رغم كل ما قد يحمله ذلك من الم لي على ان اكون كالسيدة فاندرلايت.»

غطست لوسي بعد قولها هذا واضعة حداً لهذا الحديث.

ما الذي سيقوله نيكولاس حين يرى خطيبة ادريان اوليفنت السابقة؟

حين ترجل الشاب اليوناني من السيارة متجهاً نحو الفتيات الثلاث خارج الفندق تقدمت فاليري عمداً وقالت:«اهلاً، اهلاً يا نيكولاس. لم اتوقع رؤيتك مجدداً ابداً.»

قال بجفاف:«اهلا آنسة برايت.»

«انا الآن السيدة فاندرلايت.لقد تزوجت امريكيا وقد وصلت الى هنا برفقة زوجي من الولايات المتحدة.»

ظل نيكولاس يحدق بفاليري وعيناه تعكسان ذهوله. لكنه كان مؤدباً ولم تشعر لوسي انه يحمل اي ضغينة ضد الآنسة برايت.

قال:«هذه مفاجأة حقاً، عودتك للجزيرة.»

«انا متفاجئة بدوري لوجودي هنا، وكيف هي شقيقتك؟»

لوسي التي لازالت تراقب نيكولاس رأت عضلات وجهه تتقلص.

«بخير، شكر لك. هي لم تأت معي اليوم لأن جدتي مريضة واضطرت للبقاء معها.» شعرت لوسي بالتوتر يتقلص وتقدمت نحوهما قائلة:«آه نيكولاس، آسفة بشأن جدتك، اليس من الافضل لك البقاء قربها؟»

نظر اليها قائلاً:«لا بأس بذلك. فأفروديت تعتني جيداً بها، انها مشكلتها القديمة المتجددة. لا يظنها الاطباء ستعيش طويلاً. لكن ارجوك دعينا نستمتع بنزهتنا الى سانت هيلاريون.»

حدق بها بحب صريح، كان متيماً بها حقاً وكان يتلهف لجعلها تقع في هواه، وجل امنياته كانت الاعتناء بها واعطائها كل ما تريد.

وسر كثيرا لاصرار كارول على جلوس لوسي في المقعد المجاور له، وجلست هي والسيدة فاندرلايت في المقعد الخلفي .

تبادلت لوسي مع نيكولاس القليل من الكلام اثناء الطريق، فقد انشغلت بالنظر الى الطبيعة. بعد التجول في انحاء القلعة جلس الجميع على الحشائش الخضراء ليرتاحوا.

وقررت فاليري التكلم مع لوسي، وقد حانت لها تلك الفرصة حيث ذهبت كارول ونيكولاس للبحث عن نبتة برية نادرة تنمو خلف اسوار القلعة. ارادت لوسي مرافقتهما لكن فاليري نادتها بكسل:

«ابق هنا وحادثيني.»

بتردد اطاعتها لوسي. وادركت حتى قبل ان تبدأ فاليري الكلام ان الموضوع سيكون حول ادريان اوليفنت.

بدأت:«كيف حال ادريان هذه الايام؟ اخبرتني كارول انك مرافقة السيدة الكبيرة، آمل انك تستمتعين بذلك. لكن شخصياً اعتقد هذا عملاً مملاً ومضجراً. فالسيدة معتلة الصحة كثيراً ومن حسن حظها انها لازالت تتنفس.»

«انا سعيدة جداً في فيللا فينيشيا وانا احب السيدة اوليفنت كثيراً، اراها امرأة رائعة قل مثلها.»

«لم امانع ان تكون حماتي. كانت تتوقع مني ان اكون زوجة فاضلة. لكني لم اخلق لذلك فقط. لدي ما يكفيني الآن من المشاكل مع والدة بوب.»

قطفت لوسي بعض الحشائش بعصبية وهي تفكر! يا لهذه الفتاة من شخصية بغيضة!

كررت فاليري سؤالها:«كيف حال ادريان؟»

ردت لوسي ببرود:«انا لا اراه كثيراً، فهو دائم الانشغال بعمله خارج قبرص.»

«لقد استلم شركة الملاحة بأكملها الآن، اليس كذلك؟»

«نعم، اظن هذا.»

«وماذا عن الرسم؟ انها من افضل هواياته، كنت اقضي معظم وقتي جالسة امامه كي يرسمني. هل شاهدت اي من لوحاته لي؟ ام انه قد خبأها بعيداً؟»

شعرت لوسي برغبة جامحة بصفع هذه الفتاة على وجهها.

«شاهدت لوحة واحدة لك فقط ... قبل ان يحرقها السيد اوليفنت بلحظات.»

هزت فاليري كتفيها وقالت:«آه، حقاً فعل! لا بد انه ما يزال مغرماً بي، لم ينسني تماماً بعد على ما اظن. حسناً، وحده كان الملام بما حدث، في الحقيقة كانت المسألة بأكملها صدمة قوية لي.»

«اظن عليك ان تعلمي انني لا اعرف شيئاً عن حياة وشؤون السيد اوليفنت الخاصة. وما تقولينه لا يعنيني بشيء.»

فقالت:«آه مادمت لا تعرفين فدعيني اخبرك.»وتجاهلت فاليري احتجاجات لوسي متابعة:«كنت مخطوبة للسيد ادريان ولمدة ستة اشهر. كنت اقيم في مصر حينها. والدي كان يعمل في الجيش وكنا نعيش هناك معه. كنت آتي ووالدتي الى هنا لقضاء الصيف. هكذا قابلنا آل اوليفنت. كنت يافعة وعفوية واعتقدت ادريان من حسن حظي وقد وقع هو بغرامي على الفور. كان رجلاً فريداً، بموهبته الفنية . ادرك الآن انني ما كنت لاكون سعيدة معه، لكني سمحت لنفسي بالانجراف في ذلك.»

قاطعتها لوسي هنا وقد احمرت وجنتاها خجلاً:«صدقاً لا رغبة لي بسماع هذا...»

«بإمكانك معرفة ما حدث.» قاطعتها فاليري متابعة:«أجروء على القول انك سمعت انني من ترك ادريان وفسخ الخطوبة لكن العكس هو الصحيح، هو من فعل. ففيما كنت في انكلترا معتقدة ان ادريان يتابع مسائل حفل الزفاف، كان هو هنا يتصرف بطريقة مشينة مع تلك

الفلاحة، شقيقة نيكولاس افروديت. ضبطهما نيكولاس في مرسم ادريان ، لم يكن ذلك لائقاً ابداً، زوج المستقبل يعبث مع تلك الطفلة التي كان من المفترض انها تعمل فقط كعارضة له. انتشرت هذه القصة وغضب نيكولاس على ادريان وكاد يقتله. فيما ضجت الحكاية بين اهالي كيرينيا. وسمعت ان الاهالي كانوا ليطردوا آل اوليفنت من هنا لكن حبهم للسيدة الوالدة منعهم من ذلك كونها بالغة الطيبة والكرم مع العديد من الفقراء هنا. لكن منذ ذلك الحين لا احد ممن يحترم نفسه يخاطب ادريان او يحادثه.»

تجمدت لوسي في مكانها، شعرت بقلبها ينتفض بشدة بين اضلعها. لعل القصة حقيقية، لعل اللغز الغامض قد حل تماماً .

نيكولاس محق في غضبه وفاليري بهجره. لكن الغريب ان من شعرت لوسي نحوه بالاحتقار في هذه اللحظة هي فاليري لا ادريان.

تابعت فاليري الحديث وكأنها تجد متعة في سرد كل التفاصيل:«انتشرت قصة نيكولاس ووصلت الى مسامع احد معارف والدتي الذين يعيشون هنا، الجنرال جرايدر وزوجته. انه متقاعد الآن، هل التقيت به؟»

هزت لوسي رأسها بالموافقة فهذا الجنرال وزوجته يعرفان السيدة اوليفنت وقد تناولوا العشاء في الفيلا مرة من المرات.

«المهم فقد ا عتقد الجنرال بوجوب اطلاعنا على ما حدث وحينها فسخت خطوبتي على الفور.»

ردت لوسي بدافع من اخلاصها لمخدومها وعدم اعجابها بهذه الفتاة:«وحطمت قلبك بذلك؟»

لم يظهر الانزعاج على فاليري بل على العكس قهقهت قائلة:«لا ليس فاليري برايت! ما كنت لادع ادريان اوليفنت يحطمني. في الحقيقة كنت قد بدأت اصحو من انبهاري بفن ادريان وجديته المفرطة. كنت قد قابلت بوب للتو في القاهرة وبدأت اقتنع شيئاً فشيئاً انه من يناسبني اكثر. الآن لوسي، الا تعتقدين صدقاً ان الزواج من ادريان يعني الكآبة والنكد؟»

اختفى اللون من وجه لوسي وغدت شاحبة ، واشتعلت نيران الغضب في عينيها. فقد تذكرت وجه ادريان المعذب وهو يمزق لوحة فاليري بقدمه. فحتى لو كان مذنباً ، اما كان يجدر بخطيبته التي تحبه ان ترفض الاستماع لكلام الناس وتهب لمساندة خطيبها او على الاقل تستمع لروايته هو للقصة؟ نهضت لوسي على الفور وقالت بحزم:«الا يكفينا ما قلناه عن ادريان؟ لا اجد اي فائدة من تحريك الرماد. انت متزوجة من شخص آخر الآن، على كل حال ما حدث بينك وبين ادريان لا يعنيني اطلاقاً.»

وصلت كارول ونيكولاس في هذه اللحظة بالذات وكانت كارول تحمل نبتة جميلة بورود زهرية لوحت لهما بها بسعادة قائلة:

«لقد وجدت كنزي! سيسر ديكس لهذا، فهو يعشق نبتة الفاونا هذه.»

لاحظ نيكولاس على الفور نظرة الانزعاج في عيني لوسي وسأل:«هل من خطب ما؟»

«لا شيء، لكني اريد العودة الى المنزل الآن لو سمحت.»

في طريق العودة الى كيرينيا عاد نيكولاس ليسألها:«انت منزعجة من امر ما. اليس كذلك يا فتاتي؟»

«انا بخير يا نيكولاس.» غمزت الى المقعد الخلفي متابعة:«يسعهما الاستماع لما نقول.»

همس نيكولاس قائلاً:«شعرت فيما مضى بالأسى عليها. اعتقدتها تعرضت لسوء معاملة وعدم اخلاص، لكنِ طبيعتها ليست جيدة او لطيفة. وقد اكتشفت ذلك سابقا ايضاً.»

لم تسأله لوسي كيف اكتشف ذلك. في الحقيقة لم ترغب بالتحدث عن فاليري. فالمسألة بأكملها كانت مزعجة.

اعاد نيكولاس لوسي الى المنزل وقال لها:«اذا تحسنت صحة جدتي فأرغب باصطحابك انت وافروديت الى لارنكا الاسبوع المقبل. لدينا هناك احتفالات «كاتاكليمسوز» حيث يحتفل كل سكان قبرص بذكرى آفروديت، رمز الحب. سيكون هذا حدثاً رائعا، وخاصة اذا رافقتني انت الى هناك. ارجوك لوسي اطلبي من السيدة اوليفنت يوم عطلة وتعالي معنا.»

«سأفكر بالامر واعلمك. شكراً جزيلاً لك يا نيكولاس.» امسك يدها طابعا قبلة حارة داخل كفها.

شعرت بالاضطراب يعتريها وسحبت يدها سريعاً من بين كفيه.

«سأعلمك بشأن لارنكا.الى اللقاء وآمل ان تتحسن حالة جدتك.»

الفصل الخامس

فتحت نيتا الباب للوسي وذعرت لرؤية التعبير على وجه الخادمة التي اخبرتها ان لوكاس ذهب للبحث عنها.

«هل من خطب ما نيتا؟»

«اجل.» ردت الخادمة بسرعة:«اصيبت السيدة بشبه نوبة قلبية وهي ترتدي ملابسها بعد قيلولة بعد الظهر وقد اتصلنا بالطبيب.»

خفق قلب لوسي بشدة ذعراً وناحت:«يا للهول !حدث كل هذا وانا لست هنا!.»

ركضت مسرعة الى الطابق العلوي والقلق يعمي نظرها. فصحة والدة ادريان كان شغلها الشاغل، ليس فقط داء المفاصل ما كان يقلقها بل ضعف قلب السيدة الوالدة.

قال الطبيب ان نمط حياتها الهادىء والمريح هنا يمنحها سنوات عمر طويلة لكن جسدها الضعيف لم يكن قوياً كفاية.

«طلب الطبيب ان تتصلي به فور وصولك.» عادت نيتا تقول وهي تصعد السلالم خلفها.

استدارت لوسي وهرعت نحو الهاتف.

كلمات الطبيب الاولى اثارت قلق لوسي، فقد اخبرها ان السيدة الكبيرة تعرضت لازمة قلبية وعليها البقاء في السرير حتى يصدر هو تعليماته بالمغادرة.

«لكن ما مدى سوء حالتها حضرة الطبيب؟وهل عليّ اخبار ابنها واحضاره الى هنا؟»

لحسن الحظ كان رد الطبيب بالنفي فمع ان المشكلة قلبية الا انها ليست خطيرة فقد عادت السيدة الآن الى طبيعتها بعد إعطائها الدواء المناسب ولا داع لإثارة قلق الابن وريبة الام بحال حضوره.

اعطى الطبيب لوسي بعض التعليمات... وكيفية اعطاء الدواء للسيدة اوليفت واوصاها بإبقائها هادئة دون حراك لحين زيارته لهما.

وصعدت لوسي بعد ذلك لرؤية السيدة الأم.

«عزيزتي سيدة اوليفنت. سمعت ان امسيتك كانت سيئة. لا يجب عليك انتظار خروجي حتى تقومين بمثل هذه الاشياء. انا مستاءة جداً.»قالت لوسي هذا بابتسامة عتاب مقتربة من سرير المرأة المريضة.

ابتسمت لها السيدة اوليفنت بدورها قائلة:«اخشى انني اثرت ذعر الجميع عزيزتي لوسي. لكن الامر لم يكن يستحق كل هذه الجلبة. انه مجرد إغماء بسيط. وقد اعطاني الطبيب جونز الدواء وانتهى كل شيء.»

«لو انني فقط كنت هنا...»

«انا سعيدة انك كنت في الخارج. وآمل انك استمتعت بنزهتك.أوكد لك انني بألف خير.»

لكن كلماتها لم تطمئن لوسي. فقد بدا لها ان انفاس السيدة اوليفنت متلاحقة وسريعة وشعرت بيدها جافة ومحمومة. وتمنت لو ان ادريان كان هنا.

ادركت السيدة ما يجول ببال لوسي البالغة القلق والخوف وقالت:«لا داع يا لوسي لاستدعاء ادريان او الاتصال به، انا بألف خير كما اخبرتك. هذه الازمة قد انتهت وسأبقى طريحة الفراش لبضعة ايام ثم سأكون بأحسن حال.»

«على كل حال قد يأتي ادريان من نفسه نهاية هذا الاسبوع الى كيرينيا ورؤيتك له ستفيدك بالتأكيد.»

«هذا صحيح. والآن اخبريني عن نزهتك.»

لم تذكر لوسي اسم فاليري. فلا فكرة لديها اطلاقاً عن كيفية رد فعل بلانش اذا عرفت بوجود فاليري خطيبة ابنها السابق هنا على الجزيرة.

ظلت لوسي تقرأ بصوت مرتفع للسيدة اوليفنت لمدة ساعة. ثم نزلت لتناول العشاء في الاسفل. شعرت لوسي بالكآبة وظلت تفكر بفاليري.... متمنية لو ان آل فاندرلايت لم يأتوا الى الجزيرة. كما وانها شعرت بالقلق على السيدة العجوز الحبيبة. تمنت لو انها تملك الجرأة لمهاتفة ادريان والطلب منه المجيء. اليس هو من طلب اليها اخباره فور حدوث اي طارىء لوالدته؟ وقد يغضب ان لم تفعل.

شعرت بالتوتر والقلق. كانت الفيللا هادئة جداً الليلة. قالت نيتا ان السيدة اوليفنت استغرقت في النوم فور انتهائها مع العشاء.

حاولت لوسي قراءة قصة لكنها لم تتمكن من التركيز على الكلمات. فقد ظلت تتذكر القصة التي اخبرتها بها فاليري. قصة خيانة ادريان لفاليري مع افروديت.

فجأة سمعت صوت سيارة تتوقف في الخارج فسارعت بالركض الى باب الدار وفتحته بنفسها كي لا يرن القادم جرس الباب ويزعج السيدة.

صرخت بذهول لرؤية القادم:«آه، هذا انت.»

حياها بود وحرارة اكثر من العادة قائلاً:«مرحباً لوسي. هل تفاجأت لرؤيتي؟»

«جداً.»

كان يحملِ حقيبة صغيرة بيده فقط. فأمسك بذراعها ودخلا معاً الى الفيلا. وبتنهيدة رضى قال:«لكم تسعدني العودة الى المنزل. عليَ القول ان سعادتي لا تعود فقط لرؤية والدتي بل لرؤيتك انت ايضاً. انت جزء من العائلة الآن وجزء جميل وجذاب ايضاً.»

شعرت بجفاف في حلقها، فهي لم تكن معتادة على مغازلته لها.

سألها:«حسناً، كيف تسير الامور؟»

«لا...بأس.»

كانت تفكر بأفضل والطف طريقة لاخباره ان والدته تعرضت لنوبة قلبية. تنهد ادريان ثانية وتابع:

«لكم المكان هادىء ورائع هنا. كنت اعمل بكد ليل نهار، وقد حللنا للتو المشكلة في الخرطوم.»

«اجل.»

«لا يزال الوقت مبكراً، انها التاسعة والربع فقط، سأغتسل ثم اتناول العشاء.اطلبي من لوكاس اعداد بعض الطعام الخفيف لو سمحت.»

طأطأت لوسي برأسها وهي لا تزال مذهولة من وصوله المفاجيء. وشعر هو فجأة بتوترها.

«انا بحاجة للترفيه. كل ما كنت افكر به طوال الطريق من ليماسول الى هنا، هو قضائي بعض الوقت مع امي الحبيبة ثم تناول بعض الطعام واحتساء القهوة فيما انت تعزفين على البيانو مقطوعات لشوبان. هل لك ان تفعلي ذلك لاحقاً؟»

اشاحت بصبرها عنه. عليها اخباره توا عن والدته.

تابع ادريان قائلاً:« في الواقع، لقد فكرت بالكثير من

المسائل وانا في القاهرة وتوصلت الى قرار مفاده انني كنت عدائياً بعض الشيء وسأغير هذا فوراً. انوي البقاء لفترة اطول في المنزل هذه المرة، ربما لفترة اسبوعين. سأستمتع بعطلة حقيقية، وسأتعرف على اصدقاء جدد هنا في كيرينيا. لم اكن لطيفا مع صديقتك الامريكية وزوجها في المرة السابقة.الا يزالا هنا؟»

لوسي التي صعقت مما كان يقول اكتفت بأن طأطأت رأسها بالايجاب.

فأضاف:«حسناً، سنذهب معاً الى فندق الدوم لتناول العشاء معهما لاحقاً. ولم اذهب منذ سنوات الى لارنكا لحضور مهرجان افروديت، قد نذهب معاً الى هناك. على كل حال علي الذهاب الى فندق الدوم غداً لإجتماع عمل. وقد جاء الرجل معي في القارب اليوم.»

شعرت لوسي بالحرارة وبالجليد في الوقت ذاته. ففي ظروف اخرى كانت رغبة ادريان في تغيير عاداته وطباعة الجافة لتسعدها. لكن مجرد ذكره لفندق الدوم وتذكرها لفاليري هزاها بشدة.

لا بد انه سيراها هناك. هذه ستكون صدمة قوية له. في الواقع عليها اخباره بصدمتين اثنتين الآن ولا تعلم بأيهما تصدمه اولا...

بدا للوسي ان افضل ما يمكنها فعله في هذه اللحظة هو الابتعاد عن ادريان، وايجاد لوكاس والطلب اليه تحضير العشاء.

لذا كي تكسب بعض الوقت اكتفت برمقه بنظرة متوترة وتمتمت :«والدتك نائمة، الافضل الا توقظها الآن، سأعود بعد لحظات.»

www.elromancia.com

اعطت الاوامر بشأن تحضير العشاء فيما عشرات الافكار تتزاحم في رأسها وهي تجوب المطبخ جيئة وذهاباً تحت انظار الخدم الحائرة.

في النهاية كانت لوسي مضطرة للعودة الى الصالون. وقررت ان افضل طريقة لقول اي شيء هي الطريقة المباشرة.

استدار فور دخولها وقال:«تعالي وانظري الى هذا. لا يسأم المرء ابداً من النظر الى هذا، ياله من منظر!»

وقفت قربه ولحقت نظراتها اتجاه عينيه حيث خيال القلعة تحت ضوء القمر.

فتابع ادريان قائلا:«انت تبالغين في صمتك اليوم، هل لمجيئي تأثير سلبي عليك؟»

قالت:«لا، لكن اخشى ان عليّ اطلاعك على انباء سيئة.»

تغيرت ملامحه على الفور وسأل:«ماذا؟ ماذا هناك؟»

«والدتك مريضة.»

مسحت كلماتها كل اثر للمرح من وجه ادريان اوليفنت.

«بم مريضة؟ منذ متى؟ ماذا حدث لها؟»

اخبرته عن تعرضها لنوبة قلبية ناقلة كل ما قاله لها الطبيب جونز حرفيا.

«تقولين انها على ما يرام الآن؟»

«نعم، لكن يجب عليها البقاء في الفراش لبضعة ايام اخرى كي تستعيد عافيتها كليا.»

رد ادريان:«اجل، بالطبع.»

سألها المزيد من الاسئلة وردت عليه بكل صدق ثم اضافت:«ارجوك لا تكن بالغ القلق هكذا. اكد لي الطبيب انها ستكون على احسن حال بعد ان تغادر الفراش.»

تنهد بعمق وقال:«الحمدلله على ذلك.»

«النوبات القلبية ليست بالضرورة قاتلة.»

«لا استطيع مجرد التفكير بحدوث اي سوء لها.»

الآن بعد ان اطلعته على الصدمة الاولى ترددت باطلاعه على وجود فاليري. وخافت التسبب بالمزيد من الأسى والألم له.

لن تخبره الليلة عن ذلك، بل ستفعل في الصباح.

قالت:«من فضلك تناول عشاءك وتوقف عن القلق.»

تنهد وسار نحو المائدة وقال:

«حسنا، طالما انك لا تخفين عني اي شيء. انا اشعر بالغضب في الواقع لعدم اتصالك بي في مكتب القاهرة لابلاغي بما حدث.»

«اردت ذلك بالفعل لكن الطبيب نصحني الا افعل. لقد اخبرتك بكل ما حدث بحذافيره. اؤكد لك انني لم اخف عنك شيئا بهذا الخصوص.»

انفرجت اساريره قليلاً وقال برقة:«آسف يا لوسي. اتيت الى هنا قاطعاً عهداً على نفسي الا اتصرف بفظاظة وخشونة. انا واثق انك بذلت كل ما بوسعك لمساعدة والدتي وانا ممتن جداً لك.»

سارت نحو الباب فناداها ادريان قائلاً:

«هل ستخلدين للنوم الآن؟»

نظرت اليه والاحمرار يعلو خديها وتمتمت:«انا... افكر بالخلود للنوم نعم...»

«الن تبقي قليلاً للتحدث الي يا لوسي؟»

خشيت بحال بقائها تطور الحديث الى نزهتها اليوم حيث ستضطر لذكر اسم فاليري وهذا ما لا تريده.

www.elromancia.com

قالت بتردد:« من فضلك اعذرني... انا شديدة التعب، هل تريد شيئاً؟»

ابتسم بود وقال:«انت تديرين هذا المكان بطريقة فعالة وممتازة.»

«شكراً لك.»

«بما انني سأبقى هنا لبعض الوقت هذه المرة، فسأرعى امي بنفسي واراقب تحسن حالتها. واذا سارت الامور على ما يرام سوف ارتب امر الرحلة الى لارنكا. انت ترغبين بالذهاب الى هناك أليس كذلك؟ المهرجان التقليدي السنوي يستحق المشاهدة ولو لمرة واحدة، وانا واثق من حبك لهذه الامور.»

«شكراً جزيلاً لك. وتصبح على خير.» واختفت من امامه قبل ان يتفوه بأي كلمة اخرى.

انهى ادريان اوليفنت عشاءه بصمت. لن يزعج والدته حتى الصباح. ستسر حين تعلم ببقائه هنا لمدة اسبوعين. لكن ماذا بشأن لوسي غريشام؟ لماذا سارعت بالهروب منه الآن؟ هل السبب حقاً انها متعبة؟ ام لانها لا تحب رفقته؟ هل فقدانه لاعصابه تلك الامسية في الاستديو ازعجها؟ لن يتفاجأ ان كان ذلك صحيحاً. فقد تصرف كأحمق.

كان قد مضى وقت طويل منذ اسر إعجابه جمال فتاة ما، فكر ادريان بحزن. وطارت افكاره الى ذكرى فاليري برايت! فاليري التي تزوجت من امريكي وتقطن الآن على بعد آلاف الكيلومترات! هو لم يقدر على طرد ذكراها من حياته، فقد كان من الرائع في حينه الوقوع في غرامها، لكنها كانت مجرد حس رائع دون قلب، مجرد جسد امرأة دون وفاء.

لكن ما الذي جاء بهذه الفكرة اليه الآن ؟ عاد للتفكير بلوسي وبالرحلة التي سيصطحبها بها الى المهرجان وهو يخلد الى النوم

في السادسة من صباح اليوم التالي، وفيما الجميع نياماً، كان هو قد غادر الفيللا، كانت كيرينيا بأكملها تغط بالسبات باستثناء الصيادين بشباكهم وزوارقهم الباحثة عن الاسفنج البحري وهذه واحدة من اهم الصناعات على الجزيرة.

بدا البحر بأروع حالاته. وشعر ادريان فجأة برغبة عارمة للذهاب الى النادي والسباحة في حوضه الواسع.

كان النادي على التلة المجاورة للقلعة. كان المكان رائعاً وادريان يستمتع بالسباحة هنا اكثر من اي مكان آخر في العالم.

فكر فجأة: غداً سأحضر لوسي الصغيرة للسباحة معي هنا.

كانت المياه منعشة، باردة ورائعة، وشعر فجأة بالسعادة لوجوده هنا.

فجأة خرجت من باب النادي فتاة بثوب سباحة احمر وسارت متجهة نحو الحوض.اغمض ادريان عينيه للحظات ثم فتحهما ثانية فيما يداه تحجبان عن وجهه اشعة الشمس. ظل للحظات محدقاً بها. وبدا كأن قلبه توقف عن الخفقان وشهق صارخاً:«فاليري؟!»

توقفت فاليري فاندرلايت محدقة بالرجل في حوض السباحة، بدت مذهولة ومشدوهة. ثم التوى فمها بابتسامة واسعة وقالت:«هذا ادريان المغرور؟»

شعر الرجل بضربات قلبه كأمواج البحر الهادر.

جلست فاليري قربه بعد ان خلعت صندالها وغمرت قدميها بالمياه.

نظرت اليه قائلة:«حسنا، حسنا، اذن انت في كيرينيا؟»

ظل ينظر اليها كأنه لا يصدق حتى الآن وجودها امامه.

سأل اخيراً بصوت مبحوح:«ما الذي تفعلينه هنا؟»

«اتيت للسباحة، فقد سحبني من فراشي زوجي واصدقائنا،ديكس وكارول. اظنك تعرفهما، فقد اعتقدوا ان السباحة في الصباح الباكر هي اروع ميزات هذا المكان.»

«ما الذي تفعلينه في كيرينيا؟» عاد ليسأل ثانية.

«زوجي هو مدير عمل ديكس، وقد اتينا من الولايات المتحدة الى هنا برحلة عمل. التجارة مزدهرة هذه الايام بيننا وبين قبرص، يا لهذه الصدفة، اليس كذلك ادريان، فاليري الجميلة عادت الى هنا؟»

لم يجبها ولم يستطع ازاحة نظره عنها ايضاً. ظلت بدورها تحدق به بجرأة فقد تبدل كثيراً عما كان عليه، فكرت فاليري،فبعض الشعيرات البيضاء كانت تزين مفارقه وزاده ذلك جاذبية ووسامة. لكن نظراته اضحت اكثر قساوة وجديّة عما كانت عليه في السابق. يا لحسن حظها انها قابلته هنا وحدها، فقد ذهب بوب زوجها برفقة ديكس وكارول للتنزه، وبما انها تفضل النوم على مثل هذه النشاطات فقد اختارت المجيء الى هنا للتمتع ببعض الشمس لحين عودتهم بعد ان اصروا عليها واجبروها على الاستيقاظ.

«حسناً يا ادريان.» قالت بعد قليل:«هل نلتقي كأصدقاء ام كأعداء؟»

«لا اظن بإمكان وجود صداقة بيننا فاليري، بصراحة لو

علمت بوجودك هنا لما وطأت قدمي ارض هذه الجزيرة مطلقاً.»

ضحكت وقالت:«هل الامر بهذا السوء؟ لكن لماذا؟ انا متزوجة من بوب فاندرلايت واسكن في الولايات المتحدة! وانت، كما سمعت! قطب من اقطاب الشحن البحري، وقطب ناجح جداً، الا نستطيع ان ننسى اننا كنا يوماً خطيبين؟»

قال:«انا شخصياً لا ارغب مطلقاً بتذكر ذلك، لكن الحقائق هي التي تبقى. لقد آذيتني وآلمتني بشدة وعمق يا فاليري ولا اجد من السهل نسيان ذلك.»

حدقت به ثم سألت:«انا اذيتك؟ انا آلمتك؟ احب سماع هذا لكن انت هو من اذيتني وآلمتني! انت من حطم خطوبتنا... هل نسيت ما فعلته مع الفتاة اليونانية الصغيرة والفضيحة التي انتشرت في الجزيرة؟ انت من تصرف بسوء.»

قال بحدة:«انا لم افعل شيئاً يشعرني بالعار، كل المسألة كانت تلفيقاً خبيثاً، اخبرتك بذلك في حينه، كتبت لك الشرح كاملاً وانت رفضت تصديقي. اشك الآن ان كنت او والدتك قد قرأت رسالتي اصلاً.»

«كانت كلمتك ضد كلمة افرا وشقيقها. ايضاً انت لا تتوقع مني التصديق انك دعوت تلك الفتاة الى مرسمك في منتصف الليل لترسمها!»

شعر ادريان للحظة ان نار الغضب والصدمة توشك ان تلتهمه. وعاد كل الألم القديم ليجتاحه لمجرد رؤية الفتاة وسماع صوتها، ما قالته للتو رهيب ولا يمكن الصفح عنه، وهذا مثالي عنها وعن شخصيتها.

قال:«لا يحق لك قول هكذا اشياء، فأنت تعلمين تماماً ان هذا غير صحيح. احببتك واعتقدتك تبادليني الحب بدورك

وانك من بين كل نساء الارض تصدقينني وتثقين بي مهما قال الآخرون، لم يكن لدى نيكولاس اي دليل، اخبرتك ان افروديت لفقت هذه الكذبة.»

قاطعته بامتعاض:«آه، ارجوك لا تعيدنا الى كل ما حصل سابقاً.فهذا لن ينفع احداً الآن.»

قال بصوت تخنقه العاطفة:«لم تمنحيني هذه الفرصة في حينها، اسأت الحكم عليّ بقساوة وعن غير وجه حق، اخطأ نيكولاس وكل كيرينيا بحقي. وماذا كان بوسعي ان اقول او افعل دون ايذاء تلك... تلك الفتاة الصغيرة الطائشة المجنونة التي كذبت على الجميع لانقاذ سمعتها! وبفعلتها تلك هشمت سمعتي انا. كان ذلك مجحفاً بحقي. لكن لو استمعت لي لشرحت الحقيقة لك، كان عليك الاستماع لما لدي، كنا على وشك الزواج، كان عليك الادراك انني ما كنت لاستسلم لاغواء فتاة قروية جاهلة وانا على وشك الزواج منك.»

شعرت فاليري بالغرور، ووجدت هذا الموقف رائعاً، فبعد كل ذلك الوقت لايزال ادريان يحبها.

فجأة استدارت نحو ادريان وقالت بصوت مواس:

«لا تكن عنيفاً هكذا ادريان، انت تأخذ الحياة بجدية اكثر من اللازم، لطالما كنت كذلك.»

نظر اليها بعينين غاضبتين سائلاً:«وانت الا تأخذينها بجدية مطلقاً؟ هل وجدت من السهل رميك لي دون حتى الاستماع الى ما اقول؟»

هزت كتفيها قائلة:«كل من في كيرينيا صدّق نيكولاس. فلم لا اصدقه انا؟»

«لانك كنت من ستصبحين زوجتي.»

«لم تظهر غضبك هذا كله على المسكينة فاليري؟ ان كانت الشقية اليونانية هي السبب فلم لا تظهر غضبك عليها هي؟»

«اظهر غضبي على آفروديت؟ كنت شديد الغضب حينها لدرجة انني تمنيت لو اقتلها بيدي هاتين. لكنها كانت مجرد مراهقة غبية، لا اظنها ادركت اصلاً مدى الضرر الذي الحقته بي. لكن انت! انت يا فاليري ببعض الثقة والايمان كنت لتصلحي كل شيء وتعيدي الامور الى نصابها.»

«حسناً، مازلت لا اعرف الحقيقة، اليس كذلك؟»

«اذن سأخبرك بها.»

قاطعته قائلة:«ادريان حقا، كل هذا مجرد تاريخ قديم. انامتزوجة الآن، لم علينا اعادة سرد تلك العلاقة المريرة؟»

حدق بها بعدم تصديق وقال:«الا يوجد ذرة ادراك او فهم لديك؟ كنت احبك، انا لم اخذلك او اخونك لحظة. اقسم على ذلك.»

لم تجب فاليري فتابع ادريان بصوت منخفض:«ستستمعين الى القصة الحقيقية سواء رغبت بذلك ام لا، انت تدينين بذلك لي حتى ولو كانت هذه هي المرة الاخيرة التي سنرى بعضنا بها.»

تدافعت الكلمات منه كشلال حبس داخل سد لوقت طويل. استمعت فاليري له وهي شبه مقتنعة انه يقول الحقيقة وانها ظلمته، كان يتكلم بصدق ، لكنها لم تكن مهتمة لمعرفة سواء اكان في الماضي مخلصاً لها او لم يكن.

الفصل السادس

اثناء خطوبته لفاليري برايت لم يكن ادريان يرى او يشعر بأي امرأة اخرى في الكون، فقد كان مغرماً تماماً بها. ودخلت آفروديت الفتاة اليونانية حياته كموديل للتصوير والرسم. ونظر اليها كمجرد موديل رسم جميل يعكس الشباب والجمال اليوناني. لكن لسوء حظ ادريان، وقعت آفروديت في غرامه، واضحت تشكل ازعاجاً له، الا انه لم يعتقد للحظة انها قد تشكل اي خطر عليه.

وقد ساءت الامور بينه وبين الفتاة قبل امسية رأس السنة بالضبط. فقد اخبرته آفروديت بحبها له وهيامها به فطلب هو منها عدم المجيء ثانية اليه لانه لم يعد راغباً برسمها وحينها جن جنونها وتركت كل عائلتها هارعة اليه.

فجادلها وحاول اقناعها بخطأ ما تفعله كونه على وشك الزواج ويحب خطيبته لكنها ابت الاستماع له واصيبت بنوبة هستيرية وشبه اغماء.

فارتمت على الكنبة فيما جثى ادريان قربها محاولاً اقناعها منطقياً بحقيقة ما يحدث. حينها بالضبط وصل نيكولاس واساء فهم الموضوع كلياً لدرجة ان الرجلين اوشكا على الاقتتال العنيف.

سأل نيكولاس شقيقته التي رفضت قول الحقيقة، ثم لتنقذ نفسها احتمت بالكذب، ادعت ان ادريان اغواها ودعاها الى مرسمه تلك الليلة بالذات. صدقها نيكولاس ورفض الاستماع لشروحات ادريان. ردد على مسامع الجميع قصة

آفروديت الكاذبة مطلقاً الفضيحة التي عرفت بها فاليري وفسخت على اساسها خطوبتها منه. وفشلت كل محاولات ادريان لاقناع آفروديت بقول الحقيقة. ورفض نيكولاس السماح لها بمقابلة ادريان او التحدث اليه.

«لذا ابتعدت بعد ان شوهت صورتي.» انهى ادريان كلامه: «وصرت آتي الى هنا فقط لاسعاد والدتي التي لا تعرف مطلقاً بما حدث لي مع افروديت. كان اهل الجزيرة من اللطف كفاية كي لا يخبروها بما حدث. لكن انت، انت كان عليك الوقوف الى جانبي ومؤازرتي، كان هذا ليبدل كل شيء فاليري. دمرتني آفروديت بكذبها، لكنك اكدت للجميع صدق كذبتها بابتعادك عني وهجرك لي.»

بعد ان انتهى نظرت فاليري اليه وتمتمت:

«عزيزي ادريان، يا لها من قصة مريعة! ان كانت صحيحة فأنا آسفة كوني لم اثق بك. لكن الوقت متأخر الآن وقد فات الأوان على ذلك.»

سأل: «هل تصدقيني الآن؟ هل تصدقيني؟ سواء اكان الوقت متأخراً ام لا. هل تصدقيني فاليري؟»

«عزيزي ادريان لا تثر مشاعرك بعمق هكذا الآن! ما الفائدة الآن سواء اكنت ولداً جيداً ام سيئاً؟ كل ذلك مجرد ماض منته.»

حدق بها وكأن الصاعقة مسته. وكأنه ادرك اكثر من السابق مدى سطحية وتفاهة هذه المرأة، وان كل هذا الجمال كان مجرد قناع جذاب لطبيعة لاهية، سخيفة لا قيمة لها. وعرف ان قصته لم تكن ذات تأثير عليها، فنهض وهو يقول: «ستصدقيني حتى ولو اضطررت لإيجاد تلك الفتاة وإجبارها على قول الحقيقة لك، ستسمعين الحقيقة منها.»

www.elromancia.com

نهضت فاليري بدورها وقد بدأت تشعر بالملل من ادريان وتصرفه. «آه لا تبتعد عني الآن عزيزي. تعال واسبح معي واترك الامور على ما كانت عليه.»

حدق في عينيها قائلاً:

«ارفض هذا كلياً. علي اجبارك انت ايضاً على تصديق الحقيقة.»

«لماذا ادريان اوليفنت؟ لماذا لازلت راغباً بأن انظر اليك كرجل رائع ومخلص؟! كما كنت اعتقدك وانظر اليك دوماً في السابق. اهذا هو لب الموضوع؟ الهذا انت شديد الانزعاج؟ الا زلت مهتماً بي يا ادريان؟»

ادرك حينها بالضبط انه يكرهها، كل ما عاناه جراء عدم اخلاصها وعدم اهتمامها بآلام قلبه إضافة لرد فعلها الآن بعد سماعها شروحاته اشعلا بركان الغضب الجامح داخله، فامسك بذراعيها وهزها بعنف قائلاً:«اصمتي، اصمتي.»

لكنها سمعت في تلك اللحظة بالذات صوت ضحكات وكلمات عرفت ان بوب وكارول وديكس قد وصلوا فسارعت الى الابتعاد عن ادريان.

«انتبه يا ادريان فقد وصل الباقون. اهدأ يا حبيبي سأراك في وقت آخر.»

لم يتسن له الوقت للمغادرة. فقد وصل الجميع الى الحوض الآن وكانوا يرمقونه بنظراتهم المتسائلة.

سارعت فاليري بحسها النسائي للتصرف وفقاً للطريقة التي ارتأتها، فقد وضعت ذراعيها حول زوجها بدلال قائلة:«اهلاً بوب، لقد عدتم! هل استمتعتم بنزهتكم؟ انا سعدت كثيراً بالشمس هنا. وصادفت صديقاً قديماً. هذا

ادريان اوليفنت، ادريان هذا هو بوب فاندرلايت زوجي.»

تبادلت كارول وديكس النظرات، ثم قالت كارول:

«آه... هذه حالة يجب رؤيتها.»

قال:«اذكر انني سمعت هذا الاسم من قبل؟ لكن لا اذكر اين؟ اين يا فال؟»

ابتسمت بخبث وقالت:«آه، انه من كنت خطيبته في السابق. هو يعيش في كيرينيا. وقد سبق له ان رسم لوحات رائعة لي.»

تقلصت ملامح فاندرلايت وتمتم:«آه، اجل.»

شد ادريان قبضته فهو يعلم تماما ما يدور ببال الرجل الامريكي السمين.

ادرك ادريان الآن انه لن يرتاح ابداً حتى يكشف الحقيقة للجميع ويعيد لاسمه نقاوته وصفاءه حتى يتقدم فاندرلايت وزوجته بالاعتذار منه.

قال ادريان:«اعذروني فلدي موعد...»

سارع بوب للقول:«بالطبع.»

بدأت فاليري:«لا تهرب ادريان...»

لكن ادريان قاطعها فوراً قائلاً:

«لا نية لي بالهرب مطلقاً، لكن علي التحدث مع آل اليستون. بعد ذلك... ارغب برؤيتكم مجدداً، الى اللقاء.»

فور اختفائه سارع فاندرلايت قائلاً:

«اذن حبيبتي، هذا هو الشاب صاحب الذوق الرديء الذي اغوى احدى فتيات الجزيرة قبل زواجكما؟»

«هذا هو.» ردت فاليري بتفكير. لكنها شعرت بانزعاج بسيط جديد عليها. يا للنظرة المريعة التي رماها بها ادريان قبل مغادرته! ايمكن ان تفسيره الطويل الممل ذاك

هو الحقيقة، وانه بريء مما اتهم به؟ عليها انهاء كل هذا الهراء بأي طريقة، ستذهب الى فيللا فينيشيا لتقابل ادريان ولتخبره الا يتصرف بغباء.

اما في فيللا فينيشيا فقد التقى ادريان ولوسي للمرة الاولى هذا اليوم على طاولة الافطار التي اعدها لوكاس لهما على الشرفة.

بدا ادريان هادئاً ومتمالكاً تماماً لاعصابه. لكن لوسي ادركت على الفور ان هناك شيئاً خلف الهدوء فوجهه كان متشنجاً دون اي لمسة من لمسات ادريان الودي الذي رأته ليلة البارحة.

نظرت اليه ببعض الحيرة فيما هي تسكب القهوة له.«هل رأيت السيدة الكبيرة؟»

«اجل. اشكرالله على تحسن صحتها.»

«نعم، لقد تفاجأت وغمرتها السعادة حين علمت بمجيئك ليلة البارحة.»

هز ادريان رأسه موافقاً واكتفى بالصمت واحتساء قهوته.

ادركت لوسي ان عقله كان في مكان بعيد تماماً وتفاجأت كلياً حين سألها:«سأذهب في نزهة بعد الفطور. على فكرة يا لوسي، الا يزال نيكولاس وافروديت في الفندق، ام انهما في اثينا؟»

تمتمت وقلبها يخفق بشدة:« افروديت ونيكولاس لا يزالا... لا يزالا في الفندق.»

«شكراً لك.» وتابع تناول فطوره بصمت.

تزايد قلق لوسي وحيرتها واخذت تراقبه متسائلة عما يدور في خلده؟...وعن سبب نطقه بالاسمين الممنوع مجرد التفكير بهما في الفيللا.

رن جرس الهاتف وسارعت لوسي للرد عليه. كانت كارول هي المتكلمة وقالت:«لوسي حبيبتي، اخشى انني احمل انباء سيئة. هل ادريان هنا؟»

«اجل وهو يتناول طعام الفطور! ماذا هناك؟»

«وكذلك نحن بدورنا. لكن كان عليّ الاتصال بك. اتعلمين انه اتى للسباحة في حوض النادي وقد قابل هناك فاليري صباح هذا اليوم؟»

رفعت لوسي يدها لا شعورياً الى حلقها. ادركت ان المتاعب آتية لا ريب وان ذاك اللقاء هو المسؤول عن مزاج ادريان الحالي.

كانت فاليري تتحدث مع كارول بطريقتها العابثة حول لقاء الصباح الباكر وكيف ان ادريان حاول تبرئة نفسه بما دعته فاليري «تحريف القصة» القديمة وانه هدد بالذهاب الى افروديت اليستون لانتزاع الحقيقة منها، انهت كارول كلامها بالقول:«انا صدقاً لا اعرف التفاصيل لكني اتوقع المشاكل يا عزيزتي، لعل من الافضل ان تحاولي ردع ادريان وايقافه عن إثارة الماضي، فكما يبدو هو مصمم على فعل ذلك.»

وضعت لوسي سماعة الهاتف مكانها وقد هرب اللون من وجهها. اذن تلك هي القصة، هذا هو سبب التجهم والغموض، ادريان قد قابل فاليري، وانفجرت القنبلة دون سابق انذار امام عينيه. ما الذي سيقوله حول اخفاء حقيقة رؤيتها لفاليري على الجزيرة عنه؟ لكم كان كتوماً على طاولة الفطور، لعله كان غاضباً منها لسكوتها و... من فاليري ولِمَ سألها عن آل اليستون؟ لعله يريد الذهاب اليهم وسؤال افروديت الحقيقة كما قالت كارول! لكن لماذا؟

لماذا؟ بم سيفيد ذلك؟ لوسي لا تعرف تفاصيل الموضوع وقد شعرت بالارتباك الكامل.

تسارعت ضربات قلب لوسي وهرعت بسرعة الى الشرفة، عليها التحدث مع ادريان، وتوضيح هذه المسألة ومنعه من الذهاب الى فندق آليستون، لكن مقعده كان شاغراً. لقد غادر المكان.

كانت آفروديت في غرفة الغسيل خلف الفندق، تغسل برفقة فتاة اخرى بمثل عمرها.

كان نيكولاس في ليماسول اليوم لهذا ارسلت العجوز آفروديت الى غرفة الغسيل،وقد سرّت آفرو لذلك، فالخادمة زيتا كانت صديقتها. كانت زيتا تخبرها عن حبيبها البحار اليوناني وعن زواجهما حين ترسو سفينته ثانية على الجزيرة.

استمعت آفروديت لها وهي تتحسر على نفسها، فالواضح ان زيتا تستمتع بحياتها اكثر منها هي.

حملت الفتاتان بعد ذلك الملاءة الكبيرة الى الحديقة ونشرنها على حبل الغسيل.

كان المكان جميلاً هادئاً لكن روح آفروديت لم تكن كذلك مطلقاً. فقد تمنت لو انه يحبها احدهم كما هي حال زيتا، ودوما كلما خطرت فكرة الحب على بالها كان يتراءى لها شبح ادريان اوليفنت رغم عدم رؤيتها له طوال تلك المدة.

فجأة هزتها زيتا قائلة:«آه! آفرو انظري!»

نظرت وخفق قلبها بشدة. فهناك كان يقف الرجل الذي يسكن افكارها.

سألها بجفاف:«هل شقيقك في المنزل؟»

«لا، نيكولاس في ليماسول.»

«ارغب بالتحدث اليك آفروديت والى نيكولاس ايضاً، لكن بما انه ليس هنا فسأكتفي بمحادثتك انت الآن.»

نظرت الى زيتا التي تراقبهما باهتمام وقالت لها بلغتها:«سآخذه الى بستان الزيتون. راقبي المكان ونادني بحال استدعتني جدتي.»

ضحكت زيتا وتمنت لها الحظ فارتفعت معنويات آفروديت فقد كانت غبية لعدم احساسها بالخطر القادم. رمت ادريان بنظرة وتمتمت:

«سنذهب في نزهة قصيرة. سأسير امامك.»

لماذا هو بالغ الغضب؟ ما الذي فعلته؟ بدأت تتكلم وتركها تفعل حتى ابتعدا قليلاً عن الفندق ثم امسك بيد الثرثارة الغبية.

«اصمتي يا أفروديت. اريدك ان تستمعي بانتباه وتركيز الى ما سأقوله! هذا الامر بالغ الاهمية لي. انت تفهمين معنى كلمة مهم، أليس كذلك؟»

نظرت اليه وقالت:«اجل.»

«اذن يجب ان تفهمي الضرر البالغ الذي تسببت لي به.»

اخبرها انها تسببت بخسارته لزوجة المستقبل، لأسمه النظيف وسمعته الجيدة في قبرص، لاصدقائه وراحة باله، كل هذا بسبب كذبتها، اخبرها انه يعرف انها فتاة طيبة ورقيقة لن ترضى مطلقاً ان تؤذي او تسيء لأي شخص. اخبرها ان عليها الاسراع بالتكفير عن خطئها وإسائتها غير المقصودة تلك... عليها الاعتراف بحقيقة ما حصل، واخبار نيكولاس عن كذبتها بشأن ما حدث في الاستديو تلك الليلة.

اخذت ترمقه بنظرات غاضبة، فقد خاب ظنها بمرارة،

www.elromancia.com

اعتقدته جاء ليخبرها كم هي جميلة وكم هو راغب برسمها مجدداً. كان مجنوناً دون شك لاعتقاده بإمكانية اطلاعها نيكولاس على الحقيقة وعلى انها كانت كاذبة، فحينها لا شيء سيمنع نيكولاس من ارسالها الى عمتها كاليوب.

نظر الى الوجه الاسمر الجذاب وادرك ما يجول في خاطرها. لم يلحظ بريق فهم او ادراك لديها فانفجر بها قائلاً:«الا ترين الشر الذي قمت به يا آفروديت؟ انا لم المسك قط الا حين كنت ابعد خصلات شعرك عن وجهك اثناء الرسم. لا يسعك ترك الامور هكذا... لا يسعك تركي في المعاناة طيلة حياتي وانا منبوذ في نظر العالم كله من دون اي ذنب.»

انفجرت آفرو عند هذا بالبكاء وامسكت بيده فيما سيل من الكلمات اليونانية ينهمر من فمها.

«ايتها الحمقاء. هل تعتقدينني راغباً في لمسك الآن؟آه، انت بعيدة كل البعد عن اي ادراك او وعي.»

علا صراخها وبكاءها وخبأت وجهها بين كفيها. كانت خائفة وممتعضة من رفضه لها. لا يهمها كل ما سمعته منه. فنيكولاس لم يلمها هي في تلك الليلة ، بل صب كل غضبه ولومه على ادريان نفسه وهي لن تفعل شيئاً لتبديل ذلك مطلقاً.

«اذن كل ما قلته كان مجرد هباء، ولا زلت حيث كنت تماماً، آه!»

كانت هذه صرخة يأس نابعة من ادريان. وقد سمعتها لوسي غريشام. سمعتها وتأثرت بها بعمق وسارعت الى بستان الزيتون حيث ارسلتها زيتا.

توقفت آفروديت عن البكاء فور رؤيتها للوسي.

«ما الذي اتى بك الى هنا؟» سألها ادريان بذهول ودهشة.

«انت... نسيت ان تدفع لي راتبي، وانا بحاجة للمال، اريد، اريد شراء بعض الاغراض.» قالت ذلك بارتباك فهي لم تكن كاذبة بارعة وشدة احمرار وجهها كان يفضح كذبها.

مرت لحظة صمت. حدّق ادريان بلوسي. ثم تناول علبة سجائره ببطء. قال بهدوء:«اذن اتيت الى هنا لقبض مالك! يا للغرابة! وكيف عرفت بوجودي في هذا المكان بالذات؟»

ضحكت لوسي بعصبية. لا يسع المرء الكذب على هذا الرجل ابداً. فكرت لوسي متسائلة عن السبب الذي دفعها للمجيء الى هنا خلفه، فهو لا يحتاج الى حمايتها الضعيفة. لكنها ادركت ان قلبها كان يزغرد لعدم وجود نيكولاس هنا وبالتالي لعدم وقوع المشاجرة العنيفة بينهما.

ولمعت فكرة اخرى في عقل لوسي كالبرق الساطع الذي اعماها عن النظر للحظات. انها تحبه، نعم تحب ادريان واليفنت بكل ذرة في كيانها ومجرد رؤيته تشعل النيران في اعماق قلبها وروحها. لكنها كانت بالنسبة له اقل شأناً مما كانته فاليري برايت!

قال لها:«لنغادر هذا المكان.»

ثم استدار مبتعداً. استدارت لوسي لتتبعه فلحقت بها آفروديت بصراخ ودموع قائلة:«ارجوك، ارجوك آنسة لوسي اخبريه الا يغضب مني.»

همست لوسي:

«آفرو! ما كل هذا؟ ما الذي فعلته؟»

هزت آفروديت رأسها. واعترت لوسي رغبة جامحة بمعرفة كل الحقيقة، كل تفاصيلها. عادت آفروديت للبكاء ثانية. فقالت لها لوسي بحدة:

«كوني عاقلة يا آفروديت! ولا تقولي المزيد من الأكاذيب

والا فسيزداد الامر سوءاً . هناك شيء لم تطلعي شقيقك عليه، صح؟ شيء عليك اخباره به أفروديت!؟»
هزت الفتاة السمراء رأسها واخذت بالمزيد من الانتحاب والبكاء. وبنفاد صبر استدارت لوسي ولحقت بـ ادريان.

الفصل السابع

كان الغداء في فيللا فينيشيا وجبة صامتة. فأدريان لم ينطق بكلمة واحدة طوال فترة عودتهما من بستان الزيتون تاركاً اياها لأفكارها المحتارة.
وقبع داخل الاستديو طيلة بقية النهار من دون ان تعلم ما الذي كان يفعله هناك. لكن قبيل العشاء اطلعها لوكاس على ما كانت تجهله قائلاً:«السيد بالغ الغضب لسبب ما. امرني ان اجد شار ما لشراء كل ما يحتويه الاستديو من أثاث وألوان ولوحات. هذا محزن حقاً. ستصبح الغرفة فارغة ومهجورة.»
فكرت لوسي بهذا اثناء تناولها العشاء مع ادريان، وشعرت بالسعادة حين رنّ جرس الهاتف ونهضت مبتعدة للرد عليه. صوت كارول المرح كان ما تحتاجه بالضبط.
«كيف هي الامور حبيبتي؟ هل سنراك اليوم ام لا؟ ماذا عن المهرجان في لارنكا؟ ذكر نيكولاس شيئاً عن ذهابك معنا!»
ردت لوسي بسرعة:«لست واثقة بشأن المهرجان، تعرفين انه في المنزل الآن واظنه يريدني ان اذهب برفقته الى هناك.»
قالت كارول بضحك:«اتمنى لك السعادة.»
ظلت لوسي صامتة فتابعت كارول:«الأمر مزعج بوجود فاليري في صحبتنا، فبوجودها لا نستطيع الطلب من ادريان مرافقتنا.»
«بالطبع لا.»

www.elromancia.com

اضافت كارول قائلة:«حسناً، تعالي لرؤيتنا حينما تشائين فتسرنا دوما رؤيتك.»

سألتها لوسي:« الى متى سيبقى آل فاندرلايت هنا؟»

«حوالي الشهر على ما اظن؟»

«شكرا.» اعادت لوسي السماعة الى مكانها وهي تتمنى لو ان جواب كارول الاخير كان غداً.

انضمت مجددا الى ادريان في الصالون حيث كان لوكاس يسكب القهوة. وبعد مغادرة لوكاس رماها ادريان بنظرة فاحصة ثم اخذ يحرك قهوته بتفكير ثم قال:«بحال اردت القيام بترتيبات اخرى، فأنا بدلت رأيي بشأن الذهاب الى المهرجان في لارنكا. حتى انني قد لا ابقى هنا المدة التي توقعتها.»

شعرت لوسي بالامتعاض فجأة، وكونها شخصية شجاعة فقد جاهرت بذلك لادريان قائلة:

«ليتك اخبرتني بذلك قبل الآن. فقد رفضت للتو الذهاب الى هناك برفقة كارول دكستر.»

«اعترف انني سمعت ذلك. فالجلوس في الصالون يخولك سماع كل ما يقال على الهاتف.»

تناولت لوسي فنجان قهوتها وقالت:«بما انك دعوتني، فأنا اتوقع منك اصطحابي الى المهرجان.»

اعتلت الدهشة فجأة وجه ادريان وحدّق بلوسي بذهول. فقد كان يشعر بموت عميق داخله منذ لحظة عودته من بستان الزيتون. وكالعادة، اعجب بمعنويات لوسي.

قال:«عزيزتي لوسي، اصدقاؤك سيكونون اكثر مرحاً مني في المهرجان في لارنكا، او حتى صديقك اليوناني. فأنا لست بمزاج يسمح لي للرقص مطلقاً.»

«حسناً.» ردت رافعة يدها بنفاد صبر:«لكن تذكر انك انت من تبرع بدعوتي. اما بالنسبة الى متعة رفقتك، فأنت لا تحاول مطلقاً ان تكون ممتعاً، انت فقط تسمح لنفسك بالاستسلام لمزاج سيء تلو الآخر.»

جحظت عينا ادريان الآن لشدة ذهوله. لم يجرؤ احد مطلقاً على محادثته بهذه الصراحة والوضوح والمباشرة. وقد اثار هذا استمتاعه فعلاً.

فجأة انفجر بالضحك وحدجته لوسي بنظرة غاضبة قائلة:«يسرني انك تجدني مضحكة هكذا.»

توقف عن الضحك وهز رأسه متناولاً سيجارة وقال:«حسناً، حسناً، انت فعلاً تثيرين دهشتي يا لوسي! اعرف انك تعتبرينني رجلاً صعب المراس وفظ الطباع. انت لا تترددين بإبلاغي بذلك بين الحين والآخر، لكن رغم ذلك ترغبين باصطحابي لك الى لارنكا؟»

شعرت بالخجل العارم. تمنت لو انها لم تنطق بحرف واحد وهي تفضل الموت على ادراكه انها تفضل مرافقته هو على صحبة كل من يوجد في فندق الدوم او في الفندق اليوناني.

«من فضلك انسى الموضوع، فلا اظنني سأذهب الى المهرجان اصلاً. الآن، هل صحيح ما قاله لي لوكاس حول بيعك لكل مقتنيات الاستديو؟ ان كان هذا صحيح فعليّ المساعدة بذلك.لوكاس اصبح عجوزاً وينسى كثيراً. عليّ الذهاب الى البلدة والبحث عمن يرغب بشراء حاجياتك.»

نظر ادريان اليها باستغراب قائلاً:«انت شديدة الغضب مني كما يبدو يا لوسي.»

«لا يحق لي ذلك، فأنا مجرد موظفة تتقاضى راتبها في هذا المنزل.»

www.elromancia.com

«لا تتفوهي بمثل هذه الاشياء لوسي او سأشعر حقاً بالملل. لا اريدك ان تشعري انك مجرد موظفة في هذا المنزل، كنت شديدة اللطف والرقة مع امي.»

لوسي بقلبها المنتفض بشدة استدارت لتغادر المكان لكن صوت ادريان ناداها قائلاً:

«حقاً يا لوسي، لا داع لنا للمشاجرة، فالعالم مليء بالمتاعب كما هو، تصرفت بسوء نحو مسألة المهرجان، لكن بصراحة تامة لم يخطر ببالي مطلقاً انك ستكترثين سواء إصطحبتك اليه بنفسي ام لم افعل.»

استدارت محركة يديها بنفاد صبر مجدداً وقالت:

«آه، اذا كان الامر كذلك، فأنا لا اكترث. لكن يبدو لي انك تتراجع عند اول عقبة. لماذا، لأن شيئاً ما ازعجك هذا الصباح، هل نسيت كل ما قلته لي حين وصلت الى هنا ليلة البارحة؟ كيف انك ستتغير وتخرج وتندمج مع المجتمع هنا وانك لن تدع الحياة الكئيبة تمتصك حياً؟ حسناً، اعرف الآن انها تفعل، اعرف انك تفكر بأمر جدي، اعرف مثلاً انك قابلت في الصباح الفتاة التي كانت في السابق خطيبتك وانها كدرتك وازعجتك، اتفهم ذلك واظنها انسانة بغيضة وكريهة، اظن من المريع لك السماح لها بتكتدير مزاجك، فهي لا تستحق ذلك.»

توقفت بذعر لاندفاعها وتفوهها بكل تلك الكلمات، اعتلى الاحمرار وجنتيها وبسرعة اضافت بأنفاس لاهثة:«ارجو عفوك، هذا ليس من شأني، كنت مجنونة بقول هذه الاشياء.»

استدارت مجدداً وسارعت بمغادرة الغرفة لكن ادريان كان اسرع منها بالوصول اليها وامساكها من ذراعها مانعاً اياها من المغادرة.

«لا يمكنك الهروب بعد كل ما قلت. عليك اخباري بالمزيد.»

تمتمت برعب:«لا... ارجوك... افضل لي الذهاب.»

لكنه ظل ممسكاً بذراعها وقال:«قلت الكثير من الاشياء التي اصابت الوتر الحساس، لا داع لك للهروب والاعتقاد انك اهنتني بكلماتك. فهذا غير صحيح، لكن هذا سيء من الناحية العملية، لكن دعينا نتطرق للمزيد من الحقائق يا لوسي، تقولين انني استسلم عند اول عائق، اهكذا تبدو لك الامور؟ انني انهزامي؟»

هزت لوسي رأسها بصمت وتابع هو:«لوسي، لقد قاومت وناضلت كثيراً في البداية وتابعت القتال حتى بدا انني خسرت كل ما كنت اؤمن به، حينها لم اجد فائدة ترجى من متابعة القتال، الى ان قابلت فاليري ثانية هذا الصباح. بعض الاشياء التي تبادلناها في الحديث صدمتني بشدة، تملكتني حينها رغبة مجنونة بمتابعة القتال في المعركة القديمة لأثبت لها انني على صواب وانها هي على خطأ، لكن حتى حينها كان القتال غير عادل، المشاجرة مع آفروديت، ماذا بوسعك ان تفعلي ان كان الشخص المرتبط بتشويه اسمك كاذباً، ومصراً على كذبه؟ عدت الى المنزل صباحاً بما سميته (واحد من مزاجاتي السيئة... مزاج سيء تلو الآخر) هذا ما قلته بالضبط، انت محقة يا لوسي، هذا قريب جداً من الحقيقة.لكنك لو عرفت كل الحقائق لكنت اكثر تفهماً.»

استعادت لوسي بعضاً من ثقتها بنفسها ومن جرأتها وقالت:

«ادريان، منذ وصولي الى فيللا فينيشيا وانا اسمع الكثير

من الشائعات والتلميحات، لعلك لا تدرك مدى صعوبة الامر عليّ.»

«اظنك بالغة الاخلاص والوفاء يا لوسي مع ان لا حاجة لك لمساندتي.»

«توصلت الى استنتاجاتي الخاصة بعد ذلك اليوم في الاستديو.»

«استنتاجات معي او ضدي؟»

«لا اعرف، فأنا لم افهم تماماً كل شيء.»

«لكني اريد ان اعرف هذه الاستنتاجات التي توصلت اليها. هل اقنعتك انني جيد ام سيء؟»

«اظنك جيد، لا اعرف الكثير عن ذلك، لكني اصدقك. هذا كل شيئ.»

هذه الفتاة التي احضرها الى هنا للإعتناء بوالدته لا تعني شيئاً له. لكن قولها الصادق انها تؤمن به وتصدقه هز اعماقه.

«شكرا لك يا لوسي، شكراً لك.»

«عليّ الصعود الى غرفة السيدة والدتك. فأنا دوماً اثرثر معها قليلاً قبل موعد قيلولة بعد الظهر.»

«لا بأس.لكن بعد خلودها للنوم عودي الى هنا. ارغب بوضع حد لكل هذه الشائعات والفضائح. سأخبرك بالقصة الحقيقية من وجهة نظري انا.»

تمتمت:«حقا، لا داع لذلك.»

«حان الوقت لك يا لوسي للاستماع الى القصة كاملة مني انا.»

لاحقاً من صباح هذا اليوم، وبعد رحيل لوسي وادريان بدأت زيتا وآفروديت التحدث عما حصل!

«ماذا اراد الرجل الانكليزي؟» سألت زيتا افروديت التي لم ترغب بالاعتراف انه رفضها، سارعت بإخبار صديقتها بالأكاذيب. قالت ان الرجل الانكليزي عاد ليطلب منها العودة الى الاستديو لرسمها مجدداً. وحين قالت زيتا ان نيكولاس سيغضب ان عرف رجتها آفروديت الا تخبره فأقسمت زيتا على ذلك.

لكن الخادمة عادت الى المزرعة وسردت ما حدث لشقيقتها آيرا، التي وعدت الا تخبر احداً، والتي ذهبت الى القرية واطلعت خطيبها جيكو الصياد على ما حدث في الصباح بين آفروديت والرجل الانكليزي.

جيكو الذي ذهب الى المقهى مساءً، ونسى وعده لآيرا بدأ بإخبار الجميع. الرجل الثري من فيللا فينيشيا عاد ليلاحق آفروديت اليستون ثانية! كيف سيتقبل نيكولاس ذلك؟

انفجر كل من في المقهى بالضحك على هذا السؤال.

نيكولاس الذي عاد للتو من ليماسول دخل الى ذات المقهى قبل الصعود الى فندقه.

استغرب حين توقف الجميع عن الضحك فور دخوله المكان وسأل ما النكتة. لم يخبره احد بها فأدرك على الفور ان النكتة تتعلق به وإلا فلم هذا الاحجام عن تكرارها.

جلس على الكرسي المقابل لجيكو وسأله مجدداً عن سبب الضحك. وتردد الجميع من تكرارها امامه.

ضحك جيكو واقترب من نيكولاس هامساً:

«ضحكوا لأن السيد من فيللا فينيشيا عاد ليلاحق اختك مجدداً.»

غضب نيكولاس، نهض ودفع كل الاكواب عن الطاولة

www.elromancia.com

ارضاً حيث تناثرت الى مئات القطع وصاح بالبحار بلغته:

«ايها الكاذب! ايها الكلب الكاذب.»

قال:«لست بكاذب. شقيقة خطيبتي زيتا كانت تغسل الملاءات هذا الصباح في الفندق وشاهدته هناك وهو يصطحب آفروديت الى بستان الزيتون.»

«زيتا قالت ذلك؟»

اصلح جيكو من وضع قبعته وتابع:

«اجل، هي قالت ذلك. لكن لربما فعل ذلك لمجرد اللهو و...»

«لا علاقة لاختي مطلقاً بالرجل الانكليزي الآن وهو لم يطأ باب الفندق.» قال نيكولاس ذلك بصوت رنان لإسماع كل من في المقهى.

ثم استدار وغادر المكان، استقل سيارته واتجه نحو الفندق لرؤية اخته غير الشقيقة. لكنه سيمر قبل هذا بالمزرعة لسؤال زيتا عن صدق ما سمعه.

كانت زيتا وشقيقتها آيرا تتناولان العشاء مع والديهما في مطبخ المنزل التابع للمزرعة حيث وصل نيكولاس. استقبل الوالدان المالك الشاب بسعادة وكانا يشعران بالفخر لاعتباره صديقاً لهما. لكن لم يكن وجهه الوسيم مبتسماً هذه الليلة. فقد دخل فوراً صلب الموضوع موجها حديثه الى زيتا.

«ارغب بمكالمتك.»

نهضت الوالدة بقلق وقالت وهي تنظف يديها بمئزرها:

«هل قامت ابنتي بالإساءة اليك ؟»

«لا. لكني ارغب بسؤالها عن متطفل دخل باحة الفندق

اليوم وهو غير مرغوب بوجوده هناك. كانت زيتا مع اختي في ذلك الوقت.»

تبادلت العائلة النظرات. زيتا بوجهها المتورد ارخت بصرها لكن تبعاً لأمر من والدتها سارت متجهة الى نيكولاس.

نظر اليها وزاد خوفها فهي لم تره من قبل ابداً غاضباً لهذه الدرجة. رمت زيتا آيرا بنظرة غاضبة لإدراكها انها افشت السر واطلعت غيرها ولا بد وصلت الحكاية الى مسامع نيكولاس اليستون.

حاولت زيتا المراوغة الا انها اضطرت للاعتراف في النهاية ان ادريان اوليفنت جاء الى الفندق صباحاً فيما كانت وآفروديت تغسلان الملاءات وان آفروديت ذهبت معه الى بستان الزيتون.

«كم طال بقاؤهما هناك؟»

بدأت زيتا بالبكاء وقالت انها لا تذكر. نهض الوالد حينها سأل:«لم ابنتي تبك؟»

«آسف ان كنت السبب في بكائها، هي لم ترتكب اي سوء. اعذرني لعدم تمكني من البقاء. تصبحون على خير جميعاً.»

كان غضبه الآن قد استشاط، فرواية جيكو كانت صحيحة بتأكيد زيتا لها. لم تكن آفروديت في الجوار وبعد سؤاله احدى النادلات عرف انها في الاعلى برفقة جدتها.

وصل الى اسفل السلالم وناداها. نزلت آفروديت وهي تبتسم غير عالمة بالخطر الداهم.

«اود التكلم اليك آفرو.» وسار امامها الى غرفة الجلوس الخاصة بآل اليستون والممنوع على الزوار دخولها.

تغير لون آفروديت على الفور... وظهر الذعر على ملامحها ودمعت عيناها. لقد عرف نيكولاس بما حدث هذا الصباح.
امسك نيكولاس بيدها وبدأ سيل الاسئلة المنهمر عليها والاتهامات. كانت مخادعة وحقيرة. ومجدداً لطخت سمعتها وسمعة عائلتها وشقيقها بالوحل.
كم مرة قابلت السيد اوليفنت؟ ما الذي قاله او فعله معها؟ عليها إخباره والا قتلها...
افروديت الجبانة، بدأت بالبكاء وقالت انها بريئة، وانها لم تحاول ولا مرة مقابلة السيد اوليفنت او رؤيته. وكي تحمي نفسها عادت لتكذب وتقول ان ادريان اتى اليوم ليسألها العودة الى مرسمه كي يرسمها.
نظر الى اخته كحمل بريء فيما ادريان هو الذئب المفترس الساعي خلفها، يريدها ان تذهب الى الاستديو ليرسمها؟ وكأن النذل لم يتعلم الدرس من المرة الاولى!
الآن كانت افروديت تذكر اسماً اثار انتباه نيكولاس وقطع عليه افكاره.«الآنسة لوسي، لوسي... اتت لاصطحاب السيد اوليفنت.»
حدّق نيكولاس بها بعدم تصديق. اتت لوسي لاصطحاب السيد اوليفنت. هذا خبر جديد. لا شك انها ادركت الآن حقيقة مخدومها.
امسك يد افروديت وقال بحنق:«توقفي عن البكاء واعقلي. اصدق انك لم ترتكبي اي خطأ لكن السيد اوليفنت دفع الحساب. اقسم هذه المرة انه لن يذهب دون معاقبة، لديه المال والسلطة والمركز. لكني نيكولاس اليستون ولن يضحك الآخرون على شقيقتي بسبب تصرفاته الرعناء المنحطة.»

تابعت آفروديت نحيبها وقالت بخوف:«ارجوك لا ترسلني الى العمة كاليوب. انا لم ارتكب اي سوء. دعني ابقى هنا معك يا نيكولاس.»
«اصعدي الى الجدة الآن. سأقرر بشأنك غداً، هيا اذهبي.»
توقفت عن البكاء ورمته بنظرة خائفة وسألت:
«ما الذي ستفعله الآن نيكولاس؟ انت لن تثير المتاعب في فيللا فينيشيا الليلة اليس كذلك؟»
حدجها بنظرة ملتهبة وصاح:«اتريدين مني عدم معاقبته بعد ان عرضك لكل هذه الإهانة والسخرية بعرضه ذاك؟ هل تظنينني احمقاً كفاية للتصديق انه يريدك لرسم وجهك الغبي هذا فقط؟»
اشاحت آفروديت بنظرها عنه. هذا مريع بالفعل، وكأن كذبة واحدة كانت تجر خلفها المزيد من الاكاذيب، وتذكرت توسل لوسي لها بقول الصدق. لكن لا يسعها الاعتراف بالحقيقة لنيكولاس.
كلماته التالية اثارت رعبها اكثر فأكثر.
«سأقوم بما اجده مصيباً بحق هذا الرجل. لكن من الواضح الآن ان جدتنا دائمة المرض وانت لا ام لك لترشدك حين اكون خارج كيرينيا، وهذا يعني ان بقاءك هنا غير مفيد لك. سنذهب الى اثينا في الحال لنسأل العمة كاليوب النصح والمشورة.»
عاد بكاء آفروديت ليشتد ويعلو.
صعدت ببكائها المر الى جدتها، فيما انطلق نيكولاس بعصبية وغضب بسيارته نحو البلدة باتجاه فيللا فينيشيا. كانت افكاره تتخبط وبركان غضبه المتفجر يتأجج فلم يلحظ الشاحنة المتوقفة على جانب الطريق وما هي الا

www.elromancia.com

لحظات حتى كانت سيارته تخترق مؤخرة الشاحنة مهددة بقتله بثوان. لكنه اندفع طائراً من سيارته المكشوفة الى الارض الصلبة المجاورة وسقط فاقد الوعي. لم يشعر الا بمن يحمله بعد ساعات واحدهم يطالب بنقله الى المستشفى لكنه تمكن من النطق مطالباً بأخذه الى فندقه.

خافت افروديت لرؤية شقيقها والدم ينزف من رأسه فيما الآخرون يساعدونه على السير واعتقدت للحظة ان هذا ناتج عن المشاجرة بينه وبين السيد اوليفنت. وارتاحت اساريرها قليلاً حين عرفت بما حدث وسارعت بإرشاد من يحمله الى غرفته واستدعت الطبيب اليوناني الذي يعاين جدتها.

كرست آفروديت نفسها لرعاية شقيقها محاولة اظهار عمق حبها له كي يبدل رأيه ولا يرسلها الى اثينا في الغد. وبعد ان أتى الطبيب واهتم بجروح نيكولاس الطفيفة ووجهه المتورم ورسغه المصاب وكدماته الكثيرة اعلن عن ضرورة بقائه في السرير لبضعة ايام كي يستعيد عافيته.

سألته آفروديت هل تستدعي له لوسي نظراً لانه ظل يكرر اسمها اثناء نوبة الحمى التي انتابته لكن نيكولاس قال:«ارغب برؤيتها غداً لا الآن.»

« نيكولاس، آسفة للحادث الذي تعرضت له. لكن ارجوك قل انك تسامحني وتصدقني.»

حدجها بنظرة نارية وقال:«زيارتي للسيد اوليفنت تأجلت فقط ولم تلغ. والآن اذهبي يا آفرو فسأحاول النوم.»

ابتعدت عنه وهي تسأل نفسها عما عليها فعله. قررت الاتصال صباح الغد الباكر بفيللا فينيشيا والطلب من لوسي المجيء، كونها الوحيدة التي تستطيع تحسين مزاج نيكولاس.

تلك الليلة وفيما نيكولاس ينئن ويتألم من إصابته، اخذ يفكر بما قاله لشقيقته. نعم، زيارته الى فيللا فينيشيا لم تلغ بل تأجلت بسبب هذا الحادث. لكن يوم الانتقام آت لا محالة.

www.elromancia.com

الفصل الثامن

زيارة لوسي لنيكولاس صباح اليوم التالي لم تكن ناجحة من وجهة نظريهما معاً.
حين وصلتها الرسالة ومفادها ضرورة حضورها الى فندق اليستون على وجه السرعة كانت مشغولة بتحضير احتياجات النهار وكانت تشعر بالغبطة والسعادة لعدة اسباب، اولاً والأهم ان صحة بلانش أولفنت كانت في تحسن مستمر وقد اخبرهم الطبيب ان بإمكانها العودة للجلوس في الصالون او التنزه في الحديقة مع نهاية هذا الاسبوع، ثانيا شعور لوسي بتوطيد اواصر صداقة جديدة مع ادريان. فقد اخبرها بقصته وكانت محط ثقته.
اطلعها على كل شيء، باختصار ودون تأثر، لكن ما استنتجته لوسي كان عمق حب ادريان لفاليري التي رفضت الاستماع لجهته من القصة وزرعت خنجراً في قلبه، بدا من الواضح انه عانى بشدة بعد ان فسخت فاليري علاقتها به. فمسألة اعتباره رجلاً يثير الاحتقار في كيرينيا كانت مسألة صعبة لرجل بمثل كبرياء ادريان.
لطالما صدقته لوسي. والآن بعد ان سمعت القصة منه كانت مقتنعة تماماً بصدق روايته، وبعد انتهائه من سرد كل القصة ابتسم لها بشبه اعتذار وقال:«بالطبع لا سبب يدعوك لتصديقي، حتى الفتاة التي كان من المفترض انها مغرمة بي لم تصدقني.»
تلك الجملة اثارت لوسي. فلو كانت هي مكان فاليري

حينها لساندته وآزرته ووقفت الى جانبه في معركة تبرئة اسمه وسمعته.
«اصدق كل كلمة قلتها.» واطبقت اصابعه على اصابعها بصمت للحظات ثم قال:«شكراً لوسي، انا ممتن لك فعلاً، من حسن الحظ ان والدتي لا تعلم بشأن ما حدث. هي عرفت بالطبع ان فاليري هي من فسخت علاقتها بي، لكنها لم تطرح اي سؤال معتبرة ان الامور لم تسر على ما يرام بيننا. وقد اخبرتها ان فاليري اكتشفت انها ارتكبت خطأ بارتباطها بي.»
ثم وصلها الآن نبأ حادث نيكولاس. حين اطلعت ادريان على ذلك اظهر بعض التعاطف وسمّى الحادث «حظاً عاثراً.»
سألته لوسي:«هل تمانع بذهابي لزيارته؟ فهو يرغب في رؤيتي.»
اكتفى بالابتسام لها قائلاً:«يا فتاتي العزيزة، انت حرة بفعل ما تريدين والذهاب اينما تشائين.»
وفيما هي تسير بين الحقول متجهة الى فندق اليستون اخذت تفكر بنيكولاس اليستون بمشاعر مختلطة، لطالما كان مهتماً ومكرساً نفسه لها. لكن الاحداث الحالية لم تقرّب نيكولاس اليها، فقد شعرت بالامتعاض جراء ما فعله بادريان، من الطبيعي انه يحب اخته ويسعى للدفاع عنها، لكنه عالج الموضوع بكراهية وعدائية غير مبررة.
شعرت بالانزعاج قليلا بوصولها الى الفندق، رأتها آفروديت واسرعت لملاقاتها. بدت عينا آفروديت متورمتان من شدة البكاء. وانفجرت بالبكاء مجددا فور رؤيتها للوسي.

انتحبت قائلة:«ينوي أخذي الى اثينا وابقائي هناك الى الابد فور تحسن حالته، آه، آنسة لوسي هو سيستمع لك، ارجوك، اتوسل اليك اطلبي منه الا يبعدني عن كيرينيا.»

قالت لوسي:«الآن يا آفروديت لا انوي توسل نيكولاس لاجلك وسأخبرك بكل صراحة بالسبب. فالعيش مع عمتك في اثينا هو بالضبط ما تستحقين.»

توقفت آفروديت عن النحيب وحدقت بلوسي بذهول تام. سألت بحنق:«لم انت غاضبة مني؟»

«لانك لا تقولين الحقيقة. وقد تسببت من جراء ذلك بإيذاء احدهم والذي كان طيباً معك وصديقاً لشقيقك.»

يا لها من فتاة مجنونة! هي مصممة على الاستمرار في الكذب، لكن الغضب منها ليس هو الحل لتصحيح الامور، عليها التفكير في طريقة اخرى.

صعدت لوسي الآن لرؤية نيكولاس. كان نيكولاس مستلقياً على السرير والضمادات تغطي رأسه وطرف وجهه. خصلة واحدة من شعره الاشقر كانت تتدلى على جبينه. حاول الابتسام فور دخولها وقال بصوت مبحوح:«شكراً لك على المجيء، لوسي.»

«نيكولاس انا شديدة الأسف لما حدث لك.»

حاول النهوض قليلاً والاتكاء على مرفقه قائلا:«كدت اموت يا لوسي... انت لا تعرفين كم عانيت.»

«يجب ان تكون في المستشفى وليس هنا.»

«لا اتكلم عن اصابتي الجسدية... فالألم الجسدي لا يهمني، عذابي هو عذاب العقل.»

شعرت لوسي بالارتباك وقالت بابتسام:«هيا نيكولاس لا تخسر حس الدعابة والمرح لديك.»

«خسرته وانتهيت،اتعرفين ما حدث يا لوسي؟ انت العاقلة الرزينة التي تعيش في فيللا فينيشيا، اتعرفين انك تعيشين مع نذل حقير؟»

«اهدأ يا نيكولاس.» قالت ذلك دون اي اثر للابتسام.

انفجر نيكولاس بسيل اتهاماته المحقرة لادريان:«اتى خلف شقيقتي ملاحقاً اياها ثانية، بعد كل هذا الوقت، لم يكتف بالذي حدث في السابق... مهما كان ما تعتقدينه بشأن ذلك الرجل، هل تلومينني لرغبتي في حماية اختي الصغرى؟»

قالت بعصبية:«آه نيكولاس لا تتصرف بطريقة درامية، لا تكن مبالغاً جداً هكذا، انت لا تعرف الحقائق. انت لم تعرفها منذ البداية، انت اكتفيت بالاستماع لكلام آفروديت عن القصة.»

كان لوقع كلماتها عليه وقع البركان، فبدأ يتفجر متسائلاً ما الذي تعرفه لوسي عن القصة؟

قاطعته لوسي هنا قائلة:«هذا هراء. كان جاثياً قربها محاولاً إعادتها الى رشدها ووعيها. فقد غابت عن الوعي بسبب نوبتها الهستيرية.»

رد نيكولاس بحرارة:«هذا ما يقوله هو.»

«ولم لا اصدقه هو؟»

«ولم لا اصدق انا اختي المسكينة؟ وعلى كل حال لما اتى الى هنا سعياً وراءها البارحة، واصطحبها الى بستان الزيتون؟»

نهضت لوسي وهي تشعر بوفاء عظيم نحو ادريان.

«نيكولاس انت فهمت الامر بطريقة معكوسة تماماً.»

«لكن المسكينة الآنسة برايت، حتى هي تخلت عنه.

www.elromancia.com

فقد اعتقدت انه فعلاً قد اغوى شقيقتي.»
ابتسمت لوسي ببرود وقالت:«الآنسة برايت المسكينة كما تدعوها لم تعرف ابداً حقيقة ما حدث.»
«اذن الجميع كان كاذباً باستثناء السيد اوليفنت؟»
هزت لوسي كتفيها وقالت:«لا اظن هناك فائدة ترجى من مشادتنا الطفولية هذه. ظننت اننا اصدقاء يا نيكولاس لكن من الطبيعي انك ترغب الآن بوضع حد لهذه الصداقة.»
نهض نيكولاس مجدداً عن السرير وهو يصر على اسنانه.
«انت وليس انا من يريد انهاء صداقتنا لوسي، اما بالنسبة لأفروديت فلا اظنها تتجرأ وتكذب عليّ بوقاحة هكذا. لم اصدق كلمة ادريان واكذب اختي؟»
«هذا صحيح. لم تفعل؟ انا لا الومك على تصديقك لكلام اختك.»
«وانت... لم تدينين بالولاء للسيد اوليفنت؟ هل لانك تعملين لديه تقفين معه ضدي، فيما انا احبك بكل جوارحي.»
تضرجت وجنتا لوسي. هذا مربك جداً. وبالطبع لا يسعها ان تشرح لنيكولاس اليستون ان سبب دفاعها عن ادريان اوليفنت هو حبها العميق والشديد له. فهذا سرها، سرها الخاص والممنوع ان يعرفه احد ولا حتى ادريان اوليفنت نفسه.
«اظن من الافضل لي الذهاب.»
امسك بيديها قائلاً:«لا تتركيني وانا شديد المرض هكذا، وانا اتألم بشدة لوسي، مسألة شقيقتي هذه بيني وبين السيد اوليفنت، هي لا تعنيك، انا احبك يا لوسي، وانت تعلمين ذلك.»
حاولت سحب اصابعها من بين يديه، فهي لم تشعر بهذا

الاحراج في حياتها. وكانت الدموع تترقرق فعلا في عيني نيكولاس. لم تدرك الا الآن عمق العاطفة التي اشعلتها في قلب هذا الشاب اليوناني.
رفع وجهه المليء بالرضوض اليها قائلاً بتوسل:«لوسي، لوسي لا تدعي هذه المسألة تحول بيني وبينك، انت مهمة جداً في حياتي الآن.»
هزت رأسها وقالت:«آه، نيكولاس، انت، انت... آه، لا اعرف، لكن ان اردت حقاً ارضائي فعليك نسيان موقفك هذا نحو السيد اوليفنت. اتى الى هنا البارحة كي يسأل آفروديت المساعدة في تبرئة اسمه، لا كي يسعى خلفها كما قلت انت.»
«انت على خطأ.» صاح نيكولاس وأفلت يديها:«طلب منها الذهاب الى مرسمه كي يعاود رسمها ثانية.»
«غير صحيح.»
«وانت... انت محامي الدفاع عنه؟»
«هذا شأني الخاص.»
«وانت الا تهتمين مطلقاً لي؟»
«نيكولاس، انا لست مغرمة بك وانت تعرف هذا تماماً.»
«لكن لا سبب يمنعك من ان تكوني كذلك يوما ما.»
«ارجوك، انت تزيد من صعوبة الامور.»
«لكنك كل حياتي الآن.»
ظلت صامتة وقد اثار هذا جنون نيكولاس فقد عاد ليسأل بعصبية:«هل انت متعلقة جدا بأدريان؟ لم عليك تحطيم قلبي؟ هل ولائك لادريان هو السبب في ابتعادك عني؟ هل ادريان اوليفنت هذا هو السبب ليس فقط في تحطيم سمعة آفروديت بل وفي انفصالنا عن بعضنا؟ الم نكن

بالغي السعادة معاً قبل وصول اوليفنت الى كيرينيا.»
صمت نيكولاس قليلاً ثم تابع بصوت خافت وعيناه تبرقان بشدة:«انه رجل خطير يجب القضاء عليه.»
استدارت لوسي متجهة نحو الباب، شعرت بالغضب يغلي بداخلها فقد خاب ظنها به. لن تقف هنا لتسمعه يشتم ادريان.
استدارت بوصولها الى الباب وقالت له:«انا ذاهبة يا نيكولاس. لا اظنك بوعيك الآن، حين تتحسن ويخف شعور العنف البغيض هذا لديك، فقد نعاود الحديث ثانية، الى ا للقاء، آمل ان تتحسن صحتك سريعاً.»
صرخ منادياً إياها بهستيرية:«لوسي! لوسي.»
لكنها لم تتوقف وتابعت نزول السلالم والى الخارج، آفروديت كانت هناك تجمع الازهار للسواح، رمت لوسي بنظرة مرعوبة وحافظت على تلك النظرة وهي تسمع صراخ نيكولاس منادياً الفتاة الانكليزية.
وضعت لوسي ذراعها على كتف آفروديت وقالت:«انصحك يا آفروديت بالانتباه جيداً لما تقولينه في المستقبل. بأكاذيبك الغبية ستؤذين كل من حولك، ولا اظنك قادرة على العيش بضمير مرتاح حتى تعترفين بالحقيقة حول السيد اوليفنت.»
لم تجب آفروديت بل رمت لوسي بنظرة كره سوداء. رأت لوسي ذلك وغصّ قلبها.
همدت الآن صيحات نيكولاس. كان يصر على اسنانه ويقبض على الملاءة بأصابع متشنجة. الآن هو يكره ادريان اوليفنت اكثر من السابق. فهو من ابعد لوسي عنه.
وصاح نيكولاس بصوت مرتفع:

«سأراك حين تتحسن حالتي يا ادريان اوليفنت. وهذه المرة سواء اكانت والدتك العجوز في المنزل ام لا فسأصطحب معي كل اصدقائي ونجعلك تدفع الثمن...»
كانت الايام الثلاثة التالية مليئة بالمرح والسعادة تبعاً لتحسن حالة السيدة بلانش اوليفنت.
كان ادريان يحملها كل صباح الى الشرفة حيث تجلس على كرسيها المفضل هناك للاستمتاع بمنظر الحديقة الغناء. واخبرتهم انها استعادت عافيتها تماما وانه ما من داع للقلق او الخوف. لكن لوسي كانت قد اعتادت على صبر السيدة الكبيرة التي كانت تستخف بآلامها واوجاعها.
واخذت لوسي تمضي المزيد من الوقت برفقتها او بعزف البيانو لها.
كانت غبطة السيدة اوليفنت الكبرى كما اخبرت لوسي في نهاية ذلك الاسبوع رؤيتها واحساسها بالتغيير الكبير الذي طرأ على ادريان.
« وكأنه عاد الى طبيعته القديمة مجدداً وتبدو عليه السعادة فعلا بعودته الى كيرينيا. اظنه قد يعاود الرسم ثانية فقط مع بعض التشجيع.» قالت ذلك وهي تبتسم للوسي.
فوافقتها لوسي قائلة:«اجل هذا صحيح.»
كانتا تجلسان معا في الحديقة.كان هذا صباح يوم رائع كالعادة في كيرينيا، كان ادريان قد ذهب الى البلدة. وكان قد اسر للوسي انه سيأخذ بنصيحتها وسيتجول في البلدة هنا وهناك كما كان يفعل سابقاً. ومع ان آفروديت مصرة على عدم البوح بالحقيقة، الا انه الآن مصمم على تجاهل ذلك.
«اوافقك الرأي يا لوسي. افضل الطرق هي البرهان لكل

اولئك الناس في قبرص انني لا اكترث لما يقولونه عني. فأنا اعرف تماما انني بريء. وكل ما كنت اقوم به من تحاشي الناس في كيرينيا والابتعاد عن كل اهالي قبرص والسفر الدائم كان يثبت ما قيل عني ولا يناقضه.»

كما وانه قد اخبرها انه منذ حادثها واطلعها على كل شيء غمره اندفاع بالنظر الى الحياة من منظار جديد، وقد ادرك ان تصرفه بالطريقة السابقة كان دليل ضعف واستسلام فعلاً.

واعترف لها ايضاً ان فكرته ببيع محتويات الاستديو خاطئة تماما. بإمكانه تدمير لوحات آفروديت وفاليري وليس اي شيء آخر. ولم لا يعيد النظر في فكرة الرسم ثانية في المستقبل؟

«لم لا ارسمك انت يا لوسي؟» اقترح بابتسامة خفيفة.

وتذكرت لوسي الشعور الغامر الذي غمرها بنطقه تلك الكلمات، امن الممكن انه يجدها جميلة او جذابة كفاية ليقوم برسمها. ونظر اليها بنظرة فاحصة نافذة قائلا:«شعرك الملوّح هذا، وجهك الانثوي الدقيق الملامح، وتلك العينان الذهبيتان لهما جمالهما الخاص يا عزيزتي لوسي.»

هزت رأسها قائلة:«عليك احضار فتاة اخرى لتجلس امامك وترسمها، فتاة اكثر جمالا وجاذبية.»

اجابها بسخرية:«نلت كفايتي ممن تسميهم اكثر جمالاً وجاذبية. انت من لديها الكثير الكثير. وهذا نقاش منتهٍ.»

وفعلا انتهى النقاش عند جملته تلك، لكن احداً لم يلمس الاستديو. وقد ادركت لوسي ان تلك علامة من إعادة تأهيل ادريان النفسي للعودة الى الحياة.

كما وكان هناك اشارات اخرى، كتجديد دعوته لها بالذهاب الى المهرجان في لارنكا. وكانا سيذهبان بعد الغد الى هناك واخبرها انه لا يكترث لأي كان ممن سيراه هناك. وبالنسبة لفاليري فهو مستعد لرؤيتها ورؤية زوجها وجها لوجه، فمن المؤسف حقا اعطاء فاليري الانطباع انها لازالت تسيطر عليه وتثير اضطرابه. وكان هو احمقاً بإعطائها ذاك الانطباع حين التقى بها في النادي ذلك اليوم.

كل هذا اضافة الى نفحة المرح التي صارت تلون شخصيته منح لوسي ووالدته الكثير من الرضى، حتى انه لم يكلف نفسه عناء سؤال لوسي عما حدث معها مع نيكولاس وآفروديت صباح ذلك اليوم.

«نيكولاس شخص جدي لا بأس به لكنه غارق في سوء الفهم.» قال ادريان ذلك وقد وافقته لوسي على ذلك، لكنها لم تنته من آل اليستون بعد. فقد عاهدت نفسها على دفع تلك المجنونة آفروديت كي تعترف بما ارتكبته بحق ادريان.

نظرت السيدة اوليفنت من خلف نظارتها السوداء الى الفتاة الرقيقة الجالسة قربها والمسترسلة بسعادة في اعمال الحياكة وفكرت كم كانت محظوظة بإحضار ادريان لهذه الشابة الى كيرينيا. فالأم صارت متعلقة جدا بها وتحبها حباً جما وكأنها ابنتها. قالت السيدة الكبيرة:«انت لم تذهبي لرؤية اصدقائك الامريكان منذ فترة يا حبيبتي. الا يزالون في فندق الدوم؟»

ردت لوسي قائلة:«لقد قابلت كارول وزوجها اثناء شرائي للحاجيات من البلدة. لكن حاليا لديهم بعض

www.elromancia.com

الاصدقاء من الولايات المتحدة وهم منشغلون بهم.»
نظرت السيدة اوليفنت الى شجرة الرمان المميزة عندها وقالت:«اتمنى وصول رجل مميز الى كيرينيا، رجل مميز لاجلك انت يا لوسي.»
ردت لوسي بضحكة:« أنا غير مهتمة إطلاقاً بالشبان.»
«انا مجرد عجوز رومانسية يا حبيبتي، لكني اشعر انك تضيعين شبابك ورقتك بقضائك كل الوقت برفقتي هنا. رغم انني شاكرةلوجودك معي ...»
«انا بالغة السعادة والرضى برفقتك هنا وانت تعلمين ذلك. انظر الى عملي السابق في السفارة في القاهرة والى الوقت الممتع المفترض بي قضاءه برفقة هذا الشاب او ذاك على انه وقت فارغ ولا معنى له مرّ من حياتي ولا اندم عليه. فحياتي الحقيقية بدأت لحظة وصولي الى كيرينيا. تعرفين عن لهفتي وتوقي للمجيء الى قبرص. الآن فقط عرفت سر ذاك التوق وتلك اللهفة.»
هزت السيدة اوليفنت رأسها بابتسام قائلة:
«انت بالغة الرقة يا لوسي وفريدة من نوعك فعلاً، لكني لا ازال اعتقد انه من غير الطبيعي الا يكون لك صديقاً من الشباب.»
مجدداً علا الاحمرار وجه لوسي وقالت:«انا... انا لا اريد ذلك.»
«الم يسبق لك ان وقعت في الحب يا لوسي؟ كنت اصغر سناً منك حين رأيت والد ادريان للمرة الاولى، كان رجلاً رائعاً ويشبه ادريان كثيراً من عدة جوانب. مع ملامح القسوة والصلابة التي تظهر عليه الا انه شلال دافق من الحنان والرقة في الداخل. الم تتمني هذا الحنان من قبل ابداً؟»

اشاحت لوسي بنظرها بعيداً كي لا تكشف عيناها سرها ولم تعلق. فتابعت السيدة:
«معظم الفتيات تحلمن بالزواج وبالمنزل الزوجي. هل انت شواذ القاعدة يا لوسي؟»
«لا، لست كذلك سيدة اوليفنت، فأنا ارغب فعلاً بالزواج والاستقرار في منزلي وانجاب الاطفال، انا اعشق الاطفال.»
«هكذا اذن.» جاءها صوت ادريان على حين غرة.
جلس ادريان على الكرسي قرب والدته واضعاً في حجرها البريد.
«رسالتان وما يبدو انه رسالة من الآنسة ليتل. اليس هذا خط جرترود الدقيق؟»
«اجل انه خط جرترود بالفعل.»
ابتسم ادريان للوسي شارحاً:«جرترود هي المرافقة التي سبقتك يا عزيزتي لوسي. فتاة مشعة كنت مولعاً بها الى حد الجنون وهذا ما كان يبقيني حبيس فيللا فينيشيا على الدوام.»
رمت السيدة اوليفنت ابنها بنظرة تعنيف وقالت:«ادريان لا تسخر من المسكينة جيرترود، كانت غير جميلة نعم لكنها كانت ذات شخصية طيبة، هي دوماً تراسلني بإخلاص.»
ظلت عينا ادريان الضاحكة على لوسي المتشاغلة بعملها في الحياكة وقال:«آه، حسناً، بما ان لوسي تناسبك تماماً يا امي فعليّ الانصياع لرغبتك، لكن قلبي سيبقى دوماً مع جيرترود. وسأكون مضطراً لاصطحاب لوسي الى المهرجان.»
ابتسمت لوسي الآن وقالت:«لا داع لتصطحبني ان لم تشعر

www.elromancia.com

برغبة في ذلك. بوسعي الذهاب وحدي وايجاد مرافق ما يعرف قيمتي، ولتبقى لك جرترود.»

قالت السيدة اوليفنت:«هيا انتما الاثنان الآن، لا يسعني الاستماع لسخريتكما من المسكينة جرترود.»

ابتسم ادريان بطريقة ودية للوسي وقال:«لا،لا اظن من الحكمة تركك للذهاب بمفردك الى هناك. فالسادة عامة، بمن فيهم القبارصة يفضلون الشقراوات. وحينها لن نتمكن ابداً من استعادتك وماذا سيكون حال فيللا فينيشيا من دون لوسي؟»

«في يوم من الايام سيأتي غريب وسيم ويخطفني بعيداً عن الاستبداد الذي يحيط بي في خدمتك.»

«يجب شنق المستبد! انت مدللة جداً في فيللا فينيشيا اليس كذلك يا امي؟ هي من يستبد بنا، علينا جميعاً تنفيذ ما تأمرنا هي به.»

«هذا هراء يا حبيبي.» قالت الوالدة وهي مشغولة بقراءة الرسالة ولا تسمع نصف ما يقولانه.

نهضت لوسي وقالت:«حان الوقت لذهابي لتفقد الغداء. الساعة شارفت على الواحدة ظهراً.»

«عودي واخبريني المزيد عن هذا الوسيم المجهول.» قال ادريان ذلك وعيناه الزرقاوان تنظران اليها بمرح:«ولا تنسي انه عليك استشارتي عندما يحين الوقت نظراً لانك تعيشين تحت سقفي وتحت حمايتي، يجب ان اتفحص عريسك المستقبلي.»

غاص قلبها بين ضلوعها لهكذا حديث وزمت شفتيها قائلة:«ستتم استشارتك عندما يحين الوقت.»

وفيما ابتعدت ناداها قائلاً:«سنطالب حينها بمهلة شهر

اجبارية لا تفاجئينا بذلك على حين غرّة لوسي.»

سمعته لكنها لم تجبه، كانت مذهولة للدموع التي انهمرت من عينيها وقلبها ينتفض بشدة داخل ضلوعها. هي تحبه حباً جماً وهو بالكاد يهتم لامرها. يا لي من حمقاء وبلهاء، بإعطائها قلبها لشخص لا يريده ولم يسألها ان تفعل.

www.elromancia.com

الفصل التاسع

قال ادريان اثناء الغداء:«ارغب بتجربة آلة التصوير الجديدة الرائعة التي اشتريتها من القاهرة حديثاً. وقد تعلمت القليل عن تصفية الاضاءة وما الى ذلك. مارأيك بزيارة الى سانت هيلاريون؟»

اجابت السيدة اوليفنت:«سبق للوسي ان ذهبت الى هناك.»

ردت لوسي بسرعة:«نعم صحيح، لكني اضطررت للعودة سريعاً دون مشاهدة كل الجمال الموجود هناك حين كنت برفقة كارول.»

نظر ادريان اليها وقال:«الم تصلي الى قمة الجبل؟»

«لا...»

وتذكرت كيف منعتها فاليري بثرثرتها من التمتع برؤية المكان وكيف افسدت عليها الرحلة بسمومها.تابعت لوسي قائلة بصراحة:«لا افضل عندي من الذهاب مجددا الى سانت هيلاريون حيث ستكون انت دليلي السياحي ادريان.»

«اذاً سوّي الامر، سننطلق الى هناك بعد الغداء.»

صعدت لوسي لتغيير ملابسها والسعادة تغمرها وقد نسيت تماماً استياءها من إغاظة ادريان لها حول زوجها المستقبلي.

كانت سترى سانت هيلاريون بعيون جديدة هذه المرة. فدليلها واسع الثقافة والمعرفة هذه المرة...

حيّا المسؤول عن القلعة ادريان بحرارة بعكس ما يظهره

معظم الاهالي وقال باعتذار:«السيد اوليفنت يعرف عن القلعة اكثر مما اعرف انا نفسي عنها.»

كان الثلاثة يقفون امام مدخل القلعة حيث تقع غرفة المسؤول عنها. وكانت الغرفة مليئة بصور القلعة والبطاقات البريدية التي تصور القلعة من عدة جهات. لكن الشاب لم يكن يهتم بالتجارة قدر اهتمامه بإظهار تاريخ هذا المكان القبرصي الهام.

استدار ادريان نحو لوسي قائلا:«تعالي سنصعد الى الجبل.»

لم يتبعهما الشاب، وصعدا ببطء الطريق المتعرج. كل شيء في الاسفل كان صامتاً وحاراً لكن في الاعلى كانت الرياح تهب ببرودة منعشة على وجه لوسي الحار. نظر ادريان اليها وضحك قائلاً:

«يا لك من سلحفاة! الا يسعك الاسراع قليلاً؟»

«بلى.»

واسرعت الخطى فيما توقف ليشير الى بقع جمالية لم تكن هي منتبهة لها. مرّا بثلاث قناطر تشكل شبه مداخل لاقسام القلعة الكاملة واخبرها ادريان انه اثناء حصار القلعة حين كان ريتشارد قلب الاسد محتمياً بها، كان لكل قسم هنا دفاعاته الخاصة وحراسه الخاصين إضافة الى مخازنهم الخاصة وآبار المياه ايضاً.

علقت لوسي بسعادة:«لكم كانوا محظوظين! نحن في مكان شاهق وكأننا بلغنا النجوم. المكان هنا هادىء جداً وخلاب.»

طأطأ ادريان برأسه موافقاً واصلح وضع عدسة آلة التصوير.«اوافقك الرأي تماماً. لطالما فكرت بأخذ مكان

صديقنا المسؤول عن القلعة والبقاء هنا بعيداً عن كل حضارة.»

«سأرافقك انا ايضاً.» ردت لوسي بضحك.

«اظنك ستسأمين هذا بعد حين وتهرعين الى احضان الحضارة ثانية.»

«لا اظنني سأفعل.»

«لا تتحركي ابداً من فضلك.»

قال ذلك وهو يوجه آلة التصوير اليها. حبست انفاسها فيما قلبها يتراقص داخلها. حقاً كانت هذه من اسعد الاوقات في حياتها، وجودها هنا مع ادريان في جبل النجوم هذا بعيداً عن العالم بأسره.

تسلقا الى اعلى قمة. وحين اخذ الحماس لوسي اسرعت بخطاها على الحافة الخطيرة كادت ان تسقط فسارع ادريان لشدها من ذراعها مبقياً يده حول كتفيها. اخبرها بقصة ثانية عن القلعة فيما هي تشعر بحرارة يده حولها... وبقربه منها.

نزلت بطريق العودة تاركة القلعة وظل سحر هيلاريون حولها فيما هما يبتعدان بالسيارة. ظلت صامتة ولاحظ ادريان التبدل الذي طرأ عليها.

«هل انت سعيدة؟»

«بالطبع، لازلت تحت تأثير السحر. لم ارغب بمغادرة سانت هيلاريون.»

«اظنني التقطت صوراً رائعة. واحدة او اثنتان فقط لك.»

قالت:«اكره الظهور في الصور. لكني اتمنى بشوق الاحتفاظ ببعض الصور للقلعة.»

«سأعطيك نسخة عن كل الصور.»

كان هذا يوماً مميزاً في حياة لوسي. فبعد كل الوقت الذي قضته مع ادريان وعودتهما الى المنزل فيما شمس الغروب تصبغ السهوب بلون الشفق، عاد ادريان ليدعوها الى نزهة مسائية في السادسة والنصف.

«سترهق حبيبتي لوسي معك.» قالت والدته ذلك بعتاب وهي تشعر بالسعادة العارمة بداخلها لاهتمام ادريان مجدداً بالحياة.

«فكرت باصطحاب لوسي لاحتساء الشراب في مقهى الميناء.»

لوسي التي كانت لا تزال تحت تأثير زيارة سانت هيلاريون، كانت اكثر من مستعدة لقضاء المزيد من الوقت برفقة هذا الرجل الذي اصبح اهم واغلى ما لديها على هذه الارض.

«انها رائعة، اليس كذلك؟» علّق ادريان وهو يشعل سيجارته ونظره على السفينة.

«انا اكره الرحلات البحرية. فهي تذكرني بالحرب، اريد ان اعود الى سانت هيلاريون.»

ابتسم قائلاً:«اعتقد حقاً انك وقعت تحت سحر القلعة.»

قالت بحرارة:«انا فعلاً كذلك.»

اصطحبها الى نادي الميناء،وهو بناء حجري جميل تديره زوجة ضابط انكليزي متقاعد. كان هناك بعض الاشخاص داخل المقهى.

تمنت الا يلتقيا بأي شخص من معارف ادريان. حيّته صاحبة المكان بمودة واثنان من بحارة السفينة.

ودخل ادريان فوراً معهما بمحادثة ودية. جلست لوسي على كرسيها وهي ترمقه بنظراتها، لم يسبق لها ان رأت

www.elromancia.com

ادريان مرتاحا واجتماعيا وسط الحشود هكذا. وما هي الا لحظات حتى تجمع كل البحارة حوله وهم يضحكون ويثرثرون.

بعد مرور ساعة قال ادريان للوسي:«علينا العودة الى المنزل الآن كما اظن.»

«انا جاهزة.» ودعا الجميع وغادرا المكان عائدين الى فيللا فينيشيا.

«استمتعت بذلك.»

وافقته لوسي:«وانا ايضاً.»

«شاب رائع ذاك البحار.»

«لا بأس به.» علقت لوسي بعدم اهتمام.

ضحك ادريان قائلا:«الا تتسارع نبضات قلبك الآن بالتحدث عنه؟ كان شاباً وسيما ويبدو انك أثرت اعجابه.»

«حقا؟ انا لم انتبه.»

بعد لحظات غرقت في الصمت ولم يستطع ادريان اختراق حاجز صمتها هذا.

لكن بالنسبة له انتهت فترة التعاسة والانزواء بعيداً عن العالم وعن الحياة.

اصطحب ادريان لوسي في صباح ذاك اليوم الرائع الى المهرجان في لارنكا. لم تفكر ابدا بحدوث اي متاعب، فهي كانت سعيدة لأقصى درجات السعادة. وكأن ادريان كان يشاركها حماسها اليافع هذا. فقد جعلا السيدة اوليفنت تقهقه ضاحكة بدخولهما وخروجهما من غرفتها ذاك اليوم لسؤالها عما عليهما ارتدائه.

في النهاية اختارت لوسي تنورة بيضاء وبلوزة قطنية

بيضاء رياضية وحملت معطفها الرقيق الازرق وقبعتها الكبيرة.

كان هناك المئات من السيارات على الطريق اليوم. وكأن البلدة بأكملها ذاهبة الى لارنكا اليوم لحضور المهرجان.

سرد ادريان على مسامعها بعض تاريخ الجزيرة اثناء رحلتهما الى لارنكا. استمعت اليه فيما عينيها الحالمتين تنظران من خلف نظارتها السوداء الى الجمال الممتد على جانبي الطريق. وجدا نفسيهما الآن وسط موكب من عربات الخيل والحمير وسيارات يقودها القبارصة بلباسهم التقليدي.

وقبيل وصولهم الى لارنكا غرقوا وسط ازدحام سير خانق. فجأة رأت لوسي سيارة امريكية كبيرة بداخلها اربعة من الركاب. آل ديكستر واصدقاؤهم آل فاندرلايت.

تمنت لو يتمكنا من السير قدما قبل انتباه الآخرين لهم. وقد تحققت امنيتها ففور انتباه فاليري لهما تحركت سيارتهما مبتعدة. تنفست لوسي الصعداء. لكن فور وصولهما الى الشاطىء وانتهائهما من ركن السيارة عادا ليلتقيا بالمجموعة الرباعية ذاتها. فقد وجد الستة انفسهم يتدافعون كتف بكتف مع الحشود الكثيرة المتوجهة نحو البحر الممتلىء بالقوارب الصغيرة وكانت الخيم الملونة الكثيرة قد زرعت على طول الشاطىء.

لكن سعادة لوسي تبددت حين رأتهما فاليري، وبعد همسها بضع كلمات في اذن زوجها الذي هز كتفيه بعدم اهتمام، سارت هي باتجاه خطيبها السابق.

قالت فاليري:«مرحباً.. اليس هذا ممتعاً؟»

لطالما كان ديكس معجباً بصديقة زوجته الانكليزية،

www.elromancia.com

فقد انحنى الى الامام وهمس للوسي قائلاً: «يا عزيزتي الم يكن بوسعك الحصول على مرافق اكثر تسلية؟» احمرت وجنتا لوسي وحاولت ان تحافظ على حسها المرح وقالت:«لا بأس به، شكراً لاهتمامك.» نظر الى زوجته متسائلاً:«ما خطب صديقتنا العزيزة لوسي يا كارول؟»

تجاهلت لوسي هذا ونظرت الى ادريان وفاليري. فاليري كانت من يتكلم وبدا ادريان غير مهتماً. كان يبتسم لكنها ادركت ان ابتسامته كانت جليدية وعيناه الزرقاوان جامدتان.

«الا يمكننا ان نكون اصدقاء؟» تمتمت بدلال:«لقد سامحتك...لم لا زلت غاضباً جداً مني؟»

قال:« لم اسيء اليك لذا لا داع للسماح.»

رمت الباقين بنظرة سريعة وحين وجدتهم يتحدثون معاً اقتربت اكثر من ادريان وقالت:

«لا تدعنا نبدأ مجدداً بذلك العراك القديم، فهذا غير مجد. ما يهم هو الحاضر. فقد كان مقدراً لنا الالتقاء مجدداً. لنستفد من هذه الفرصة قدر المستطاع.»

«شكراً جزيلاً لك لرغبتك في ضمي الى حفلتك سيدة فاندرلايت، لكن لديّ ولوسي مخططات اخرى. والآن، اعذرينا.»

استدار وتأبط ذراع لوسي متابعاً:« هلا تابعنا سيرنا؟ هناك ما اود ان اريك اياه! الى اللقاء جميعاً، ربما نراكم لاحقاً.»

ابتسمت كارول لديكس وقالت:«آه! لقد تخلى ادريان عن رفقتنا.»

«آه، انه يثير مللي.» قال فاندرلايت وشارك ديكس الضحك. لكن وحدها فاليري بدت غاضبة. وتمتمت:«انه يثير اشمئزازي.»

سألتها كارول:«ما الذي كان يقوله لك؟»

«آه، الكثير من الهراء حول رغبته في ان اسامحه. لكني اخبرته انني غير مستعدة لمناقشة الماضي. يا له من منافق! لا بد ان لوسي يائسة لمرافق ولهذا فهي برفقته اليوم.»

«يا للوسي المسكينة! هي لا تحظى بفرصة مرح ابداً.» لكن نظرات فاليري المضطربة ظلت تلاحقه وهو يبتعد مختفياً بين الحشود. وادركت الآن أنها لربما اخطأت بالتخلي عنه لصالح بوب فاندرلايت.

والآن بعد ان رفضها ادريان اشتعل التحدي داخلها لإعادته اليها.

انضم ادريان ولوسي الى الجموع ولم يذكر ادريان اسم فاليري ثانية امامها كما وانها هي ظلت صامتة بشأن ملاقاتها للامريكيين. فسعادتها كانت اكبر من الاهتمام بهذا اصلاً.

توقف عند محل لبيع الحلويات واشترى للوسي علبة صورة أفروديت، رمز الحب، داخل صدفة.

قال:«هاك عملا فنياً رائعاً من وحي المناسبة.»

«آه، شكر لك، سأحتفظ بهذا طيلة عمري.»

اقترح ادريان:«سنذهب رحلة في القارب لاحقاً ان رغبت. فالمنظر الليلة سيكون رائعاً فعلاً بوجود الشموع داخل كل قارب على الشاطىء. انظري يا لوسي بدأت الالعاب النارية هناك.»

www.elromancia.com

ظلا يراقبان تفجر الالوان الرائع لبضع دقائق ثم تابعا السير. رأت لوسي فتاة صغيرة بثياب تقليدية تبكي قرب مكان لبيع العقود والاقراط ... كان عمر الفتاة يناهز الخامسة وكانت تبكي بحرقة.

فسارعت لوسي اليها واحتضنتها قائلة:«لم تبكين يا صغيرتي؟ لايفترض بأحد ان يبكي او ان يكون حزينا اليوم بالذات! هيا ابتسمي.»

هزت الفتاة رأسها وتابعت البكاء فهي لا تفقه لغة لوسي واخذت تشير الى الكشك والى البائعة.

انهمر سيل الكلمات من المرأة وتبرع ادريان بالترجمة:

«الفتاة تريد شراء عقد من الصدف وبما ان ما لديها من مال لا يكفي لشرائه فالبائعة غير مستعدة لاعطائها العقد.»

«آه ايتها الصغيرة المسكينة! انا سأشتريه لك.»

«لا، انا من سيشتريه لها.» رد ادريان ودفع ثمنه وألبسه للفتاة الصغيرة التي توقفت عن البكاء فورا.

ابتسمت الصغيرة له وهي تتلمس العقد وفي تلك اللحظة اقترب منهم رجل.

رمى نيكولاس بنظرة نارية وبدأ بالكلام مع البائعة.

سارعت الصغيرة للاندفاع نحوه فأدركت لوسي انه والدها. قبلها الوالد ثم انزلها ارضا وتناول قطعة نقدية من جيبه رماها لأدريان وانتزع العقد من على صدر طفلته فتدافعت الاصداف على الارض فيم سيل الكلمات الغاضبة لا يزال ينهمر من فمه. عاد صراخ الفتاة ليرتفع فيما والدها يصرخ على ادريان.

لم تفهم لوسي شيئا مما يحصل لكنها رأت تحول وجه ادريان للأبيض ورأت قبضته تشتد.

تسارعت نبضات قلب لوسي واقتربت من ادريان متوسلة:«لنذهب من هنا، ارجوك...ارجوك... لنذهب.»

رفع الرجل طفلته الباكية وسار مبتعدا. عادت البائعة للتحدث وقد ظهر عليها الاستياء.

«آه، ادريان.» هتفت لوسي بتأثر:«لم كل هذا؟»

«هذا يا عزيزتي لوسي مثالا عن شعبيتي في قبرص. الرجل صديق حميم لنيكولاس. انتزع العقد من صدر الطفلة قائلا:انه لا يسمح مطلقا لابنته بتقبل الهدايا من رجل انكليزي خائن معروف بإغواء الفتيات.»

شهقت لوسي وشعرت بالحرارة تتفجر في داخلها.

«آه يا ادريان.» همست باسمه بحزن وتأثر.«اذن، هل رأيت الآن سبب اعتكافي وعدم رغبتي في التجول في قبرص. فهذا ما سيحدث لو فعلت. واذا كنت برفقتي فالكلام السيء سيطالك ايضا. الا تظنين من الافضل لنا العودة الى المنزل الآن؟»

الفصل العاشر

ظلت لوسي صامتة فأضاف ادريان:«من المؤسف افساد يومك السعيد هذا هكذا، اظن الواجب علي تجاهل ما حدث ومتابعة النهار هنا، لكن ما حدث كدّرني وأفسد مزاجي حقاً.»
ردت لوسي بصوت خافت: «هذا طبيعي.»
حوّل انتباهه الآن عن نفسه وعن كبريائه الجريح الى وجهها هي ملاحظا التغير الذي طرأ عليه، اجل تغيّر كثيراً منذ غادرا فيللا فينيشيا هذا الصباح. فلم يفته حينها ملاحظة اشراق وجه لوسي وجماله الرقيق. الآن كانت الحيرة تلوّن عينيها. وهذا ما جعله يشعر بشيء مفاجيء نحوها. كانت عزيزة جداً عليه، وبالغة الطيبة والرقة مع والدته ومعه ايضاً. نادراً ما اخذت يوم عطلة. وكانت تتطلع بشوق الى يوم المهرجان هذا، لما يسحبها بعيداً عن المكان بسبب قبرصي جاهل قام بإهانته؟
تنهدت لوسي وقالت:«كما تريد يا ادريان. انا مستعدة تماماً للعودة الى المنزل.»
«بدّلت رأيي! لن نعود. سنتابع الاحتفال.»
انفرجت اسارير لوسي وارتفعت معنوياتها لكنها نظرت اليه بتعبير غير متأكد وسألت:«آه، ادريان هل انت متأكد...؟»
«متأكد تماماً. هيا تعالي، سنسير على الشاطىء وليموتوا غيظاً كل هؤلاء الناس.»
هذا بالضبط ما ارادت سماعه.
بعد ساعة من السير، لم يتفوه ادريان خلالها بكلمة واحدة

نظر فجأة اليها ولاحظ تعب خطواتها. كانت قد انتزعت قبعتها واخذت تمسح جبينها. بدت منهكة، لكم كان عديم التفكير، جاعلاً اياها تسير كل هذا الوقت دون لحظة راحة.
«يجب ان اعاقب، تبدين متعبة جداً، سامحيني ارجوك.»
ضحكت بارتباك وقالت:«السير كان متعبا بعض الشيء. فقد قطعنا مسافة طويلة بعيداً عن المهرجان.»
نظر ادريان الى الخلف وتفاجأ للمسافة التي قطعاها. لقد وصلا الى مكان معزول، حيث الرمال ساخنة ورائعة والبحر ممتد الى ما لا نهاية.
«هذا ما نحتاج اليه تماماً. لا يوجد اي انسان على مرمى البصر. والامواج وحدها رفيقتنا. اخلعي حذاءك ولنستلق قليلاً هنا في الظل بوسعك النوم قليلاً قبل متابعة سيرنا الى وجبة الغداء.»
بدا شعور لوسي يتحسن. رمت بنفسها على الرمال متنهدة بعمق ورضى.
«آه، هذا رائع بالفعل.»
جلس قربها محدقاً بالبحر وقال بتفكير:«عندما افكر بالأمر، ادرك انني لا اعرف الكثير عنك مطلقاً يا لوسي، انت من النوع الذي لا يظهر مشاعره.»
«اظن ذلك.»
«انت هادئة وساكنة كهذا البحر. ماذا عن حياتك الخاصة؟ الفتيات بمثل سنك لديهم علاقات عاطفية، لا بد ان لديك واحدة او اثنتين...»
قالت بعدم اكتراث متعمد:«كانت لي لحظاتي على ما اظن. كان هناك شاب في القاهرة والذي كنت اعتقد اني واقعة في هواه، لكني كنت على خطأ.»

«اظنك على حق. ابتعدي عن علاقات الحب. فهي لا تعطي المرء اي سعادة بل تغمره بالألم، انت فتاة عاقلة يا لوسي. فهناك الكثير من الاشياء الهامة في هذا العالم غير العلاقات الانسانية، والفتاة العادية تضع الكثير من الاهمية على العلاقات الرومانسية.»

قاطعته لوسي:«والرجال يضعون القليل من الاهمية عليها..»

حدق بها قائلاً:«آه، من هو الساخر الآن؟»

«هذا نقاش سخيف لا يتوافق مع روعة المكان حولنا. انظر الى ذاك الطائر الابيض على الصخرة هناك، اجنحته تلمع تحت اشعة الشمس. لكم هو فخور بنفسه وبوحدته ولكن يبدو سعيداً.»

تبع ادريان نظرتها وشاهد العصفور.

ونجحت في تغيير محور الحديث.

راقبا معاً الطائر يرتفع عالياً ثم يهوى الى البحر بسرعة.

قال ادريان:«انه محظوظ. سعيد بحريته. لا يمكن لأي شخص ان يكون حراً كالطائر. الانسان يعيش في سجن دائم.»

احتجت قائلة:«يا لهذه من فكرة كئيبة متشائمة.»

هز ادريان كتفيه مجادلاً:«اليست صحيحة؟ يبدأ سجنه اثناء طفولته. حتى الطف الممرضات هن سجانات. لا يجب عليه ان يفعل هذا او ذاك، ويظل هكذا الى ان يصل الى الجامعة. النظام الصارم والمزيد من التقييد لحرية المرء. رجل الاعمال مقيد الى مكتبه، الرئيس مسؤول عن موظفيه... حتى الموظف نفسه حريته مقيدة بشتى الاشكال من قبل الحكومة. متى بإمكان الانسان فرد جناحيه والانطلاق نحو المجهول مثل ذاك الطائر الجميل؟»

التفتت نحوه وقد اسندت رأسها على ذراعها وابتسمت. برؤيته وجهها القريب جداً منه هكذا للمرة الاولى، ذهل ادريان من روعة وجمال عينيها اللوزيتين.

قالت:«الحرية الجسدية ليست كل شيء. بإمكان المرء الاستمتاع بحرية الفكر. بعض اعظم واجمل الملاحم في العالم كتبت فيما اصحابها في السجن، ملاحم موسيقية وادبية.»

«لكن لا يشعر المرء بالحرية الفكرية هذه دوما. واكثر ما يقيد الانسان الى البؤس والشقاء شكوكه الخاصة ومخاوفه إضافة الى ظلم الآخرين له.»

ابتعدت قليلاً عنه فجأة وقالت:

«الجو كثير الحرارة لمناقشة البحث الروحي هذا. كم ارغب بكوب عصير بارد.»

«اخلدي للنوم. وسأحضر لكلينا عصيراً بارداً.»

هزت برأسها موافقة واغمضت عينيها لا كي تنام بل لتفكر بما عليها فعله حيال مشاعرها نحوه، اخيراً فتحت عينيها ونظرت الى ادريان. كان مستغرقاً في النوم ونفسه منتظم وثابت. فضحكت بصمت.

بعد فترة، تمكنت بدورها من الاستغراق في النوم. استيقظ ادريان قبلها. اتكىء برأسه على كفه وطفق ينظر اليها. لا شيء فيها من لوسي غريشام المتحفظة الباردة. جلس وظل يحدق بها وكأنه لم يرها من قبل ابداً، الفتاة العملية والرقيقة التي كانت مرافقة والدته لم تكن تعني له شيئاً كأنثى من قبل. لكنه يرى لوسي الآن كأنثى جميلة، جذابة ورائعة. فاجأه اهتمامه الجديد بها. فجأة تناول محفظته من جيبه وفتش عن قطعة ورق بيضاء ثم عن قلم. تراجع بهدوء خطوتين وبدأ برسم مخطط وجه لوسي. كان قد انتهى من

www.elromancia.com

رسم خطوط الوجه العريضة حين تحركت وفتحت عينيها. اخفى الدفتر الصغير سريعاً وقرر انه فكر بما يكفي بلوسي.
نهض ومد يده يساعدها على النهوض قائلاً:
«اغمضت عينيك بما فيه الكفاية. هيا بنا، سنعود الى المهرجان انا اشعر بالعطش وبالجوع.»
فوراً امسكت يده ونهضت. عاد وجهها ليعكس سعادتها ثانية، واخذت عيناها تبرقان وهي كاملة الاستعداد لرحلة العودة.
كان يوم المهرجان الاول على وشك الانتهاء. سارت لوسي وادريان الى موقع السيارة.
كان ادريان رائعاً، فكرت لوسي، وهي تجلس بتردد في مقعدها. لكن الساعة كانت الثامنة والنصف ولا يزال امامهما طريق العودة الطويل الى فيللا فينيشيا، وادركت انه بقي هنا كل هذا الوقت لإرضائها، كي تتمكن من رؤية المهرجان.
نظر ادريان اليها فيما هو يقود السيارة وسأل:«هل انت متعبة؟»
«قليلاً.»
«يجب ان تكوني منهكة الآن، ظللت واقفة على قدميك طيلة النهار.»
«لكن الأمر كان يستحق ذلك. فقد قضيت يوماً بالغ الروعة.»
رد بضحكة جافة:«حتى انا اكاد اصدق انني استمتعت بهذا اليوم بدوري.»
«آمل حقاً ان تكون قد استمتعت يا ادريان.»
«انا نوع ممل ومضجر كمرافق الى المهرجان.»
«هذا غير صحيح، انت تكون ممتع الرفقة ومسل حين تتصرف على سجيتك.»
ضحك وقال:

«حسناً، حسناً، وهل تصرفت انا على سجيتي معك آنسة غريشام؟»
كتمت ضحكتها وقالت:«آه، ادريان، حقاً!»
«اردتك ان تستمتعي بوقتك.» تكلم بأعذب وارق نبرة سبق وسمعتها منه، ثم غرق في الصمت.
فجأة اوقف السيارة بعنف قائلاً:« اظن الإطار قد ثقب. انتظري لحظة كي القي نظرة.»
مضت الدقائق التالية وهي تراقب ادريان يبدّل الاطار المثقوب، لم يتحدثا كثيراً الى ان ظهر خيال القلعة ... وهذه علامة الوصول الى كيرينيا.
قال ادريان:«حسناً، ها قد عدنا الساعة العاشرة. ذاك الإطار أخر موعد وصولنا. الارجح ان والدتي نائمة الآن. هل تركت اي تعليمات للوكاس؟»
«لم اعرف بوقت عودتنا لذا طلبت منه وضع بعض السندويشات والعصير على الطاولة وبعض القهوة ايضاً.»
فور دخولهما الفيللا صعد ادريان للاطمئنان على والدته. رأى النور مضاء في غرفتها فأدرك انها لا تزال مستيقظة.
سارعت لوسي الى المطبخ لتسخين القهوة. الارجح ان ادريان سيحتسي القهوة ويتناول سندويشاً. قدماها كانتا تؤلمانها قليلاً لكن جسدها كان ينضح بالصحة والسعادة لقضائها النهار بأكمله برفقة ادريان. فجأة سمعت صوت سيارة تسير على التلة. توقفت السيارة خارج ابواب الفيللا، تفاجأت لوسي وسارعت لفتح الباب والخروج الى الحديقة لمعرفة من قد يزورهم بمثل هذا الوقت المتأخر.
تحت ضوء القمر رأت اربعة رجال يتقدمون نحوها. عرفت واحداً منهم فقط. نيكولاس اليستون. كان يحمل عصا بيده

اليسرى واليد اليمنى كانت في الجبس. راقبت اقترابهم من الفيللا وانتبهوا هم لها فتوقفوا.

قال نيكولاس:

«مساء الخير لوسي، مضى وقت طويل منذ رأيتك آخر مرة.»

«ليس طويلاً.» وسألته:

«ما الذي تريده يا نيكولاس بمثل هذا الوقت المتأخر؟»

«تسرني دوما رؤيتك يا لوسي.» قال بصوت مريب:

«لكن لدينا بعض المسائل العالقة مع مدير عملك، سمعنا انكما كنتما في لارنكا، لذا انتظرنا عودتكما بفارغ الصبر.»

غاص قلب لوسي للحظات. وعرفت هوية الرجال الثلاثة الآخرين الآن، فقد شاهدتهم في الفندق مع نيكولاس فيما مضى، رغم انها لا تعرف اسماؤهم، كل منهم كان يحمل عصا بيده.

قالت لوسي بنفس متقطع:

«لم اتيتم؟ لم تريدون رؤية السيد اوليفنت؟»

«لديه حساب ليصفيه معي.» رد نيكولاس:

«كنت على وشك تصفيته قبل اسابيع لكني تعرضت لحادث، كنت سألقن السيد اوليفنت درساً يمنعه من ملاحقة شقيقتي الصغرى او اي فتاة اخرى في الجزيرة ثانية. لكن احتاج رسغي لوقت اطول كي يشفى، لكن بإمكاني استخدام يدي اليسرى ومعي ثلاثة اصدقاء بإمكانهم استخدام يديهم الاثنتين.»

تجمد الدم في عروق لوسي. اتضح كل شي امامها الآن. راجع نيكولاس اثناء مرضه كل اكاذيب شقيقته وقرر الانتقام من ادريان واشباعه ضرباً، قلقها الآن لم يكن

مركزاً على ادريان، بل على السيدة والدته الجالسة في الطابق العلوي. رمت لوسي بنظرة رعب خلف كتفيها وقالت:«لا يمكنك فعل هذا يا نيكولاس، لا يمكنك فالسيدة اوليفنت شديدة التوعك.»

صمت للحظة ثم هز رأسه قائلاً:«سمعت انها تحسنت، والمسألة بيننا وبين ابنها ولا علاقة لنا بها.»

«لكن ايها الاحمق. الا تدرك انها تجهل تماماً سوء التفاهم هذا حول افروديت، وانها اذا سمعت عن ذلك، او سمعت صوت الشجار هنا وعرفت ما يحدث فإن ذلك كفيل بقتلها؟ اتريد ان تكون مسؤولاً عن قتلها يا نيكولاس؟ الجميع في كيرينيا يحب السيدة اوليفنت.»

تحدث نيكولاس مع الشباب الباقين ثم التفت اليها قائلاً:

«لا رغبة لدينا بإيذاء السيدة اوليفنت، لديك اذن مني بالذهاب واستدعاء ادريان الى هنا.سنصطحبه الى مكان بعيد حيث لن تتمكن من سماع شيء.»

وقع الكلمات كان كوقع الصاعقة على لوسي التي تخيلت ما قد يفعله ضرب هؤلاء الرجال المبرح لأدريان، ادريان سيدافع عن نفسه، لكن كم سيكون هجومهم عليه عنيفا. اربعة ضد واحد، الجبناء! النتيجة ستكون كارثية بحق السيدة اوليفنت إضافة لآلام مبرحة لادريان ومزيد من الإذلال.لم تستطع لوسي ان تتحمل هكذا فكرة.

اقترب نيكولاس خطوة نحوها وقال:

«إذهبي واخبريه اننا نريده، وإذا اتصلت بالشرطة فسنباشر عملنا فوراً.»

«ظننتك صديقي يا نيكولاس.» قالت لوسي وهي ترتجف:

«لطالما دافعت عنك يا نيكولاس.»

www.elromancia.com

لانت نظرته قليلاً وهو ينظر اليها وقال:«انت تعرفين ما هو شعوري نحوك يا لوسي. لكن رغم ذلك عليّ الدفاع عن شقيقتي.»

«ايها الاحمق! انت لا تعرف الحقيقة! آفروديت تكذب، بإمكاني إثبات ذلك.»

حدق بها قائلاً:«هيا اثبتي ذلك، اثبتيه!»

«بإمكاني الاثبات لك انه لا يهتم مطلقاً لأمر شقيقتك.»

«كيف؟»

«لأن ادريان اوليفنت ذهب الى الفندق تبعاً لرغبتي انا... وتبعته بعد قليل، كما اخبرتك آفروديت، ذهب ليخبرها انه سيتزوجني. اجل... ارادها ان تكون اول العارفين بخطوبتنا، واردت اخبارك واخبار الجميع لاحقاً. انه مغرم بي... لا بأختك، هو لم يحب شقيقتك يوماً او حتى يرغب بها، هي من كذب منذ البداية، السيد اوليفنت سيتزوجني. ويمكنك اخبار الجميع في قبرص هذا، حينها لن يصدق احد انه يسعى خلف شقيقتك الصغرى.»

توقفت بشبه اختناق وهي تشعر بالصدمة لكلماتها وتحريفها غير الصحيح لاتقاء الكارثة.

ظهر خيال عبر الممر. استدارت لوسي والرجال الاربعة نحوه. شاهدوا ادريان اوليفنت، فقد سمع الاصوات ونزل الى الحديقة ليستطلع ما يحدث.

هرب اللون من وجه لوسي ورفعت نظرها اليه متسائلة عما اذا كان قد سمع كلماتها بلحظة رعب عليه وعلى والدته.

الفصل الحادي عشر

بدا من الواضح جدا ان ادريان لم يسمع شيئاً. فبوصوله الى المجموعة خاطب نيكولاس قائلاً:

«ما الذي تفعله هنا ومن هم اصدقاؤك؟»

تبرعت لوسي بالجواب فوراً قبل نيكولاس قائلة:«جاء نيكولاس لرؤيتي انا يا ادريان وليس لرؤيتك. آمل... ان الاصوات لم تزعج والدتك.»

اجابها ادريان:« لا، فهي لم تنم بعد اصلاً.»

وقف نيكولاس وهو يطرق حذاءه بكعب عصاه. ووجه الشاب بدا شديد الشحوب والقساوة تحت ضوء القمر واضواء الحديقة. كان يشعر بالحيرة والارتباك التام. كانت فكرة الانتقام لا تزال تسكن جوارحه. لكن ما اخبرته لوسي به اوضح خطأ كل نظرياته واصابه بالصدمة والدهشة. ان كان ادريان سيتزوج لوسي فعلاً فمن غير المعقول انه كان يسعى للايقاع بآفروديت. لم يدر نيكولاس بما يفكر، لكن يعرف ان لوسي محط ثقة وصدق.

امسكت لوسي ذراع نيكولاس بطيش وقالت بإشراق:

«اظنني اوضحت الامر تماماً يا نيكولاس! هل تسامحني الآن ان دخلت! فالوقت متأخر.»

ظل نيكولاس يحدق بها وقال:«يجب ان اعترف ان ما قلته لي يا لوسي قد بخر كل ما وددت القيام به... آفروديت اساءت فهم زيارة السيد اوليفنت لها. لا يسعني مصادقته.» قال وهو يدير رأسه ناحية ادريان متابعاً:«لذا

لا يسعني مصادقتك انت الآن بالتالي. الى اللقاء.»
إجتاحتها راحة هائلة وهي تراه ينسحب مع اصدقائه. لقد انقذت الموقف، انقذت ادريان.لكن بأي ثمن؟ كيف ستشرح ما حدث لادريان؟
وكان قد بدأ بالاستفسار منها قائلاً:«حسناً، لم كان كل هذا يا لوسي؟ ما الذي اراده نيكولاس؟ قلت انه جاء لرؤيتك بأي شأن؟» ودخلا الى الصالون معاً.
«هيا اخبريني ما هي القصة؟ ما الذي كان يفعله هنا؟ اكان يحاول تهديدك؟»
«لا... هو فقط... اراد ان يعرف سبب ذهابك الى الفندق ورؤيتك لآفروديت.»
«وما حاجته لإحضار جيش حراسة معه... فقط لسؤالك عن اخته وعني؟ وما الذي قلته انت له؟ وما الذي قصده نيكولاس بقوله انه لا يمكنه مصادقتك نظراً لانه ليس صديقي؟»
«ظننت مقصده كان واضحاً، انت لم تحب يوماً فكرة مصادقتي لآل اليستون والآن نيكولاس يشعر بالأمر ذاته. لانني... لانني جزء من سكان الفيللا، هل يزعجك ذلك؟»
«انت محقة، انا صعب الارضاء، واشعر بالاستياء لانني اخبرتك فور مجيئك الى هنا انك حرة باختيار اصدقائك، لذا لا مانع لدي ان كان نيكولاس يروق لك ان...»
قاطعته لوسي قائلة:«لا تكن سخيفاً! هو لا يروق لي، لكني ارى انه من غير المعقول لي الاستمرار بصداقتهما وهما يكرهان مجرد ذكر اسم اوليفنت امامهما. عليّ الخلود للفراش الآن. تصبح على خير.»
استدارت لتغادر،لكن يده التي وضعها على كتفها اعاقتها.
«الآن هل انت غاضبة مني يا لوسي. هذا ليس من عادتك.»

سارعت بالركض الى غرفتها وقلبها المضطرب يخفق بجنون. عليها الاستيقاظ في الصباح الباكر قبل اي شخص آخر في المنزل والذهاب لرؤية نيكولاس! وما الذي ستقوله له حينها؟ كيف بإمكانها الطلب منه عدم نشر خبر خطوبتها لادريان فيم اعلانه هذا هو السبيل الوحيد لانقاذ سمعة شقيقته وسمعته، ما الذي فعلته؟ ما المشكلة الجديدة التي ورطت نفسها بها؟
جافاها النوم تلك الليلة. وانطلقت الى فندق اليستون في الصباح الباكر بأنفاس لاهثة.
طلبها رؤية نيكولاس وتأكيد ما قالته له ليلة البارحة متذللة نفسها اذا اضطرها الامر وستبوح له بحبها الملتهب لادريان، وان كل همها وجل امنياتها ان يكون ادريان حبيبها وزوجها ولذا فقد اخبرت هي نيكولاس بأمر الخطوبة، ستتوسل الى نيكولاس كي يحمي سرها وان يحاول تفهم وضعها.
وجدت الفندق غارقاً في الصمت والنوافذ مغلقة، كان الوقت باكراً لم يستيقظ احد بعد. دقت على الباب، لم يجب احد. دقت بصوت اعلى ففتحت احدى النوافذ في الاعلى وطل رأس آفروديت، شهقت بدهشة حين رأت لوسي في الحديقة، رفعت لوسي رأسها للفتاة وقالت:«آفرو، ارغب برؤية نيكولاس على الفور.»
«انتظري سأذهب لابلاغه.»
انتظرت لوسي، وظلت تدير الكلمات في رأسها بحثاً عن افضل ما عليها قوله لنيكولاس.
بعد لحظات اطل رأس آفروديت ثانية من النافذة وقالت:«اخي ليس هنا.»

«ليس هنا.» رددت لوسي بخيبة امل.
«لا، استدعاه بعض الاصدقاء ليلة البارحة وذهب برفقتهم الى البلدة ويبدو انه نام هناك. فسريره لم يمس.»
غاص قلب لوسي. هذه هي النهاية، لا شك ان ما تفوه به نيكولاس قد انتشر في كل انحاء كيرينيا الآن، لقد وقعت المصيبة وانتهت. لم تضيع المزيد من الوقت مع آفروديت بل استدارت عائدة ادراجها.
حين وصلت الى فيللا فينيشيا كان الجميع قد استيقظ. فتحت نيتا لها الباب وصدمتها على الفور بكلماتها التي زادت من بؤس لوسي وتوترها.
«آه، يا آنسة، اسمحي لي بتقديم تهنئاتي لك.»
شحب لون لوسي وشعرت بالاغماء وهمست بصوت مخنوق:«ماذا تقصدين يا نيتا؟»
«ماركو، بائع الحليب قد اخبرني للتو. سمع من بعض الاصدقاء الذين كانوا مع نيكولاس ليلة البارحة انك ستتزوجين بالسيد. هذه انباء سارة، آنسة لوسي والسيدة الكبيرة بالغة السعادة. طلبت رؤيتك فور استيقاظك، كنت ابحث عنك لاجلها.»
جمدت لوسي في مكانها، هذا ما كانت تخشاه، الاسوأ قد حصل، نشر نيكولاس الخبر وانتهى واخبرت نيتا السيدة اوليفنت. ما الذي دعاها للكذب؟ ولم لم تطلع ادريان فعلاً على ما حدث؟ كان عليها تحذيره. ما كان على والدته سماع الخبر من واحدة من الخدم. لن يسامحها ادريان على هذا ابداً.
ركضت لوسي الى الطابق العلوي، لكن لم يتسع لها الوقت للبحث عن ادريان. باب غرفة نوم السيدة اوليفنت كان

مفتوحاً ونادتها فور رؤيتها:«لوسي... يا صغيرتي العزيزة، تعالي الى هنا فورا.»
بحر من البؤس والارتباك والألم سارت لوسي الى سرير السيدة، فتحت العجوز لها ذراعيها الاثنتين:
«تعالي الى هنا يا حبيبتي. كيف تمكنت وادريان من اخفاء هكذا خبر عني؟»
«سيدة اوليفنت انا... آه، حقاً، انا...»
«لا داع لتشعري بالذنب هكذا، هذا افضل خبر سمعته منذ سنوات. الامر المؤسف الوحيد ان كل كيرينيا سمعت به قبل ان اسمع به انا نفسي. ادرك انك وادريان كنتما تحسنان وتطوران صداقتكما، لكني لم اشك انكما مغرمان ببعضكما البعض، اخبرتني نيتا ان المتوقع منكما اعلان خطوبتكما اليوم.»
شلت لوسي عن الحركة والكلام. شعرت فقط ان العواقب الكارثية التي حاولت البارحة تفاديها قد سقطت على رأسها كالفأس القاتل.
ثم استدارت لتجد ادريان واقفاً في الممشى. ادركت من تعابيره انه سمع ما قالته والدته للتو. كان وجهه ابيض وعيناه داكنتان من شدة الغضب والصدمة. كان يشير اليها من مكانه من دون ان تراه والدته، مرتان استدعاها بيده ورأسه آمراً اياها بمغادرة الغرفة، بذلت جهداً هائلاً لتتمالك نفسها.
«ارجوك اعذريني لثوان، لحظة واحدة فقط سيدة اوليفنت.»
ثم غادرت الغرفة واغلقت الباب خلفها واتكأت مستندة عليه وهي ترتجف وبالكاد تحافظ على توازنها. امسكت اصابع ادريان برسغها بقوة.
«الى هنا... بسرعة.»

دخلت واياه الغرفة الصغيرة المجاورة وانفجرت العاصفة فوق رأس لوسي، قال ادريان بصوت كالرعد فيما لا يزال ممسكا برسغها:

«هذا بحاجة لبعض التفسير يا عزيزتي لوسي، هيا انطقي ما الذي يحدث؟ ما الذي تقصده امي؟ كيرينيا كلها تعرف اننا سنتزوج؟ ! قولي كل شيء.»

حاولت لوسي تحرير رسغها من قبضته وهتفت بشبه بكاء:«ارجوك... انت تؤلمني.»

«منذ متى كنا خطيبين؟! من تجرأ وابلغ والدتي هكذا قصة؟»

فجأة زال الارتباك عن لوسي وزال معه البؤس والألم سيطرت البرودة عليها وادركت انه بعد انتهاء كل شيء الآن، عليها الاعتراف بالحقيقة.

«اترك يدي يا ادريان ارجوك، وسأشرح كل شيء.»

افلتها وهو ينظر اليها بعينين داكنتين غاضبتين وقال بصرامة:«هيا افعلي.»

وقف ادريان امام نافذة ناظراً الى الحديقة، عرف كل شيء الآن، عرف سبب مجيء نيكولاس واولئك الرجال الى هنا ليلة البارحة، عرف ان تلك العصي كانت لضربه هو، وان لوسي انقذته من ذاك الاعتداء الوحشي الظالم، انقذته بقصتها المشينة عن قرب زواجهما، وقد انتشر الخبر في كيرينيا كانتشار النار في الهشيم ووصلت الى مسامع والدته. وهذا يثير استيائه قدر القصة نفسها، لانه يعرف حساسية والدته ومدى تأثرها لمعرفتها انها آخر من علم بهكذا نبأ عن ابنها، لم يكن لديه اي نيّة بالزواج لا من لوسي ولا من اي امرأة اخرى.

عرف ان لوسي فعلت هذا عن نية طيبة، لكنه ليس ممتنا لها، بل شعر بالإهانة لفكرة اختبائه خلف ثوب امرأة.

وفور توقف لوسي عن شرح كل شيء، استدار وواجهها، نظرت اليه بتعاسة لكن دونما خوف الآن.

«بالطبع علينا نكران الأمر، علينا التفكير بطريقة ابلاغنا لوالدتك ان في الامر سوء تفاهم وخطأ.»

قال ادريان بنفس مكتوم:«ايتها الحمقاء الصغيرة! اتظنين الامر سيكون بتلك السهولة؟»

تأوهت وقالت:«لا، لا اظنه سيكون سهلاً ، لكن علينا القيام به.»

ادركت مدى سعادتها لسماعها هكذا نبأ؟ لطالما ارادتني ان اتزوج، وهي تحبك حباً جماً، لا شيء سيسعدها في هذه الدنيا اكثر من فكرة زواجي من فتاة لطيفة ويمكن الاعتماد عليها.»

ثارة صوته دفعتها للاحتجاج:«آه، توقف عن نعتك لي بالرقيقة والتي يمكن الاعتماد عليها، اترى الآن كم يستحيل الاعتماد علي، وكم انني حمقاء وكم جعلت من نفسي اضحوكة.»

«اوافقك ان تصرفك كان غبياً، وخطراً.»

قالت بحرقة:«قمت بهذا كملاذ اخير، لم يكن امامي اي خيار آخر، لم اردهم ان يبرحوك ضرباً، لربما كانت والدتك ستسمع اصواتهم، كان هذا ليتسبب بمقتلها، قلت له اول ما مرّ بخاطري وما اعتقدته سيقنع نيكولاس بخطأ ما يعتقده ويصدقه حول ملاحقتك لاخته.»

عندما نظر ادريان الى عينيها المضيئتين وشفتيها المرتعشتين لانت قليلا تعابيره وقال:«ادرك تماماً ان ما

فعلته كان لحماية والدتي، لطالما كنت مهتمة بسعادة والدتي وراحتها وانا شاكر لك ذلك.»

«ارجوك لا تشكرني، فقد تسببت بفوضى عارمة لا مجال للتخلص منها.»

قالت ذلك بشبه نواح وقد اوشكت الدموع على الانهمار من عينيها. ضحك ضحكة قصيرة وقال:

«انت بالطبع بدأت بفضيحة جديدة وجميلة عني.»

«اجل، خطوبتك لي ستكون فضيحة كبرى.»

«لا تكوني سخيفة، لم يكن تعبير الفضيحة هو التعبير الصحيح، كان الامر ليكون سيان لو ان اسمي ارتبط باسم اي فتاة اخرى، واسمك بالطبع افضل من كل الاسماء الاخرى.»

«شكراً.» ردت لوسي بمرارة.

«والدتي بانتظار رؤيتنا. ما الذي سنفعله الآن؟»

«ننكر الأمر.» ردت لوسي بضعف.

«النكران لن يلغي حقيقة ان اسمينا قد ارتبطا معاً في ذهنها وانتهى الامر، وايضاً قلت لك كم هي سعيدة لسماع هكذا اخبار، وهذا ما يصعب كثيراً كل شيء.»

توقف للحظات ثم اضاف:«لكني لن اختبأ خلف امرأة سأحل هذه المسألة مع نيكولاس وكلما اسرعت بذلك كان افضل.»

«قم بذلك وسيكون كل ما فعلته ليلة البارحة هباء. اذا اعتقد نيكولاس انني كذبت عليه ووقع الشجار بينكما فسيصل ذلك الى مسامع والدتك.»

«ترين الفوضى التي اوقعتني بها قصتك اذن.»

«آه انت متوحش وناكر للجميل.»

قبل ان يجيبها سمعا صوت نيتا خارج الباب يقول:

«سيدي، آنستي، السيدة الكبيرة تطلبكما.» حدق ادريان ولوسي ببعضهما البعض، كانت لوسي ترتعش، تمالك ادريان نفسه ووضع يده على كتفها قائلاً:«اسمعي يا لوسي، انا متوحش واعرف ذلك لكني لست ناكراً للجميل، اعرف ان ما فعلته كان لأجلي، طبيعي اننا عاجلاً ام آجلاً سننكر الامر. اتركي لي هذه المسألة، علينا الذهاب الى والدتي الآن، سنرى ما ستقوله، اتركي كل شيء لي واتبعيني فيما سأفعل واقول لو سمحت ، سأعالج المسألة مع نيكولاس لاحقاً.»

«لكنك لن تدع والدتك تعتقد...»

«اخبرتك انني سأنتظر لارى مسار الامور...»

مجدداً عاد الارتباك والبؤس يسيطر عليها وهي تقف الى جانبه امام السيدة اوليفنت، رمتهما السيدة العجوز بابتسامة مشرقة وهتفت:«يا ولديّ العزيزان، عليّ بالغضب منكما لإخفائكما هكذا سر عني، لكني واثقة انكما اردتما إطلاعي على الخبر السعيد اليوم، آه، يا ادريان يا حبيبي، انا بالغة السعادة، انا اهنئك ولوسي من اعماق قلبي. من الرائع تماما معرفتي بأنك ستستقر اخيراً بالزواج، وانا احب لوسي واعرف انها ستكون زوجة رائعة ومثالية لك.»

«الآن امي الا تستبقين الامور قليلاً؟ انت لم تمنحينا فرصة لتأكيد ما سمعته. وتعرفين ان هذا المكان بؤرة للأقاويل والشائعات.»

شحب لون بلانش ورفعت نظرها الى ابنها تسأل بخيبة وحزن:«آه، ادريان حبيبي، هذا غير صحيح؟»

ضحك قائلاً:«بصراحة يا امي الحبيبة، انا ولوسي لم نقرر شيئاً محدداً بعد، والا لكنت اول العارفين.»

www.elromancia.com

ظلت يد ادريان ممسكة بأصابعها الباردة المرتعشة وقال بسرعة:«حسنا، لا تحزني هكذا يا امي! ايعني لك الامر كل هذا؟»

«بالطبع يا حبيبي، لطالما كانت امنيتي الاعز والاغلى ان اراك متزوجا وسعيداً في زواجك، ولوسي الصغيرة هي المفضلة لديّ من كل نساء الارض.»

مدت يدها الى لوسي فسارعت لوسي باحتضان اليد بين كفيها وتقبيلها بحب.

«آه، عزيزتي السيدة اوليفنت...»

بدأت لوسي الكلام لكن ادريان قاطعها مخافة مما قد تقوله:«حسناً، دعينا لا ننزل كل دفاعاتنا مرة واحدة يا لوسي، كل شيء سيكون على ما يرام.»

رفعت والدته نظرها اليه بترقب قائلة:«هناك شيء صحيح لهكذا شائعة بينكما اليس كذلك؟»

حبست لوسي انفاسها واجاب ادريان:

«ليس هناك نار من دون دخان يا امي الحبيبة.»

«اذن هل تعدني انه بحال سمح لي الطبيب بالنزول الى الاسفل فإننا سنحتفل بشرب نخب كنّة مستقبلية محتملة لي؟»

بدت هذه الكلمات غريبة على مسامعه ومرعبة لافكاره. فاكتفى بالقول:

«حسنا يا امي، سنرى بهذا الشأن.»

تنهدت الوالدة بارتياح وقالت:«اذن بحال سمعت المزيد من هذه الشائعات المحببة الى قلبي فسأمل ان تكون صحيحة كلياً، تعالي يا لوسي واعطني قبلة.»

لكن لوسي لم تكن قادرة على تحمل المزيد، وغادرت الغرفة

فيما يدها تغطي فمها والدموع تنهمر بغزارة من عينيها.

لم تر ادريان لبقية النهار وعرفت من الخدم انه ذهب بالسيارة الى ليماسول لمقابلة شريك عمل هناك، ظلت لوسي تتحاشى لقاء السيدة اوليفنت كي لا ترى الاخيرة عينيها الحمراوين من جراء البكاء او كي لا تسمع استفسارها عما سمعته.

لكن عند الساعة الحادية عشرة كان على لوسي موافاة السيدة اوليفنت الى الحديقة حيث ستشربان الشاي معاً كما هي العادة اليومية. لذا وضعت لوسي نظارتها السوداء القاتمة على وجهها ونزلت، لحظات فقط وبدأ الحديث المتوقع.

قالت السيدة اوليفنت:«انا اعرف ابني، هو يحتاج لوقت طويل كي يتخذ قراره بأي شأن، لكن قلبي ينبؤني انه سيقرر، وليس بعيداً، بشأنك يا لوسي.»

ابتسمت لوسي واجبرت نفسها على اعطاء اجابة مناسبة فقالت:«لا اريده ان يقرر اي شيء ان لم يكن فيه سعادته التامة.»

«حبيبتي لوسي، انت تعرفين انك وحدك من سيجعله بالغ السعادة.»

قالت:«لا شيء اكيد بعد...»

«لكنه سيكون كذلك قريباً. اشعر بذلك في اعماقي، وسمعت ما قاله ادريان بنفسه، لا دخان من دون نار.»

لم تعلق لوسي بشيء فتابعت السيدة كلامها:« انت تحبين ولدي يا لوسي، اليس كذلك؟»

رفعت لوسي رأسها للحظة، شعرت انها ممزقة وقالت:«اجل سيدتي العزيزة، انا احبه.»

www.elromancia.com

«هذا كل ما ارغب بمعرفته.تعرفين انه كان في الماضي خاطباً لفتاة اخرى... فتاة لا تفقه معنى الاخلاص والولاء.»

ابتلعت لوسي ريقها وقالت:«اجل.»

«لكن انت ... انت تموتين ولا تخونين.»

بذلت لوسي جهداً كي تبدو مرحة وقالت:« قد يلتقي ادريان بشقراء فاتنة في ليماسول وينسى حتى وجودي هنا حين يعود...»

« لا داع مطلقاً للقلق من هذه الناحية يا عزيزتي.»

وصلت نيتا لتعلن ان احدهم يطلب الآنسة لوسي على الهاتف. ردت لوسي وكانت المتصلة صديقتها كارول.

«آه يا لوسي، لقد سمعت النبأ للتو.»

خفق قلب لوسي وسألت بجهل متعمد:«اي نبأ؟»

ضحكت كارول وقالت:«اذا اردت الاستمرار في التكتم على ذلك فلك ما تريدين! لكني مسرورة جداً لاجلك عزيزتي وكل هذا نتيجة يوم واحد في المهرجان؟»

ظلت لوسي صامتة فتابعت كارول:«نرسل لك جميعاً تهنئاتنا القلبية.»

لم تستطع لوسي الا ان تسأل:

«هذا يتضمن فاليري ايضاً.»

«بالطبع. هي بقربي الآن وترغب بمكالمتك.»

بدأت لوسي ترتعش وقالت بسرعة:«آه، ارجوك اطلبي منها ان تعذرني، فأنا مشغولة جداً الآن ولا استطيع التحدث مطولاً.»

«ما الذي دهاك يا لوسي؟ الن نلتقي مجدداً ابداً؟»

«بلى سنفعل. لكن عليّ الذهاب الآن.»

«هاي، انتظري لحظة، متى موعد الزفاف؟»

لكن لوسي كانت قد اغلقت الخط والدم يكاد يتفجر من وجهها. الامور تفلت من يديها الآن.

مرة او مرتان قررت لوسي خلال النهار الذي لن ينتهي هذا، اخبار ادريان بنيتها في الرحيل، وبوجود بحثه عن مرافقة اخرى غيرها، فذاك كفيل بإنهاء قصة زواجها المجنونة تلك.

وقبيل وصول ابنها من ليماسول استدعت السيدة اوليفنت لوسي الى غرفتها وناولتها صندوقاً صغيراً.

«طلبت عشاء مميزاً لنا الليلة يا لوسي، اليس كذلك؟»

«اجل سيدة اوليفنت.»

«افتحي صندوقك يا عزيزتي، هذه هدية صغيرة لك. شيء لطالما احتفظت به بحب. اعطاني اياه والد ادريان في عيد زواجنا الاول.»

رفعت لوسي الغطاء، وعادت العاطفة المخنوقة لتفتت قلبها ثانية، وتساءلت عن المزيد الذي يمكنها تحمله من هذا. صدرت عنها آهة اعجاب صارخ لرؤيتها محتويات الصندوق. كان بداخله قلباً رائعاً من الذهب الابيض المرصع بالعديد من الجواهر الصغيرة الملونة التي تخطف الابصار ببريقها.

«كنت اضعه على ثوب اسود مخملي. ولطالما احب والد ادريان ذلك، الآن سترتدينه انت الليلة كي تسعديني وطبعاً كي تسعدي ادريان ايضاً. فهذا القلب من اكثر القلادات المفضلة لديه.»

« سيدة اوليفنت... لكن لا يمكنني اخذه... ليس بعد.»

لكن السيدة اوليفنت لم تكن لترضى بالرفض.

www.elromancia.com

كل ما سيحدث خلال العشاء سيكون تمثيلا كاذباً وتظاهراً غير صحيح، وادركت ان ادريان سينزعج اكثر منها، سمعته يعود ويدخل غرفة والدته... ثم سمعت صوت مياه الاستحمام وادركت انه هو ايضاً يستعد لهذا الاحتفال الصعب.

اهتمت لوسي عمداً بمكياج وجهها هذه الليلة، سرحت شعرها جيداً، ونظرت الى نفسها في المرآة، هي حقاً تبدو جميلة ومميزة الليلة، خاصة بعد ان وضعت القلادة على صدرها. البريق كان رائعاً، لكن كان هناك خطب ما في القفل لذا امسكت القلادة بيدها ونزلت الى الاسفل.

كانت السيدة اوليفنت تجلس على كرسيها الخاص وتتحدث الى ابنها.

بوصول لوسي الى الغرفة رفع نظره اليها وبدا منذهلاً مما رأى . فقد بدت غريبة كليا له، هذه الفتاة الذائبة انوثة بثوبها الزهري وشعرها المنسدل على كتفيها.

رمته بنظرة مرعبة سريعة وقالت:

«مساء الخير...آمل ان رحلتك كانت موفقة.»

«جداً، شكراً لك.»

«لكم تبدين رائعة يا لوسي!» هتفت السيدة اوليفنت بإعجاب:«لما لم ترتدي هديتي؟»

«القفل... لا يعمل... كأنه بحاجة لتصليح.»

«حسناً، يجب عليها ان تضعه، اليس كذلك يا ادريان؟»

سألت الأم موجهة حديثها الى ولدها:«تعال يا حبيبي نظرك افضل من نظري. لا شك انك تستطيع إصلاح هذا القفل لاجل لوسي.»

تناول ادريان من لوسي قطعة المجوهرات. اعترتها رجفة لمجرد ملامسة اصابعه لاصابعها.

«اهدأي.» همس لها وهو بعيد انشات قليلة عنها:«لا داع لإثارة استياء والدتي الآن. فقلبها يزغرد لهذا، اضافة الى انك انت من بدأ هذه اللعبة يا لوسي، فعليك بالتالي الاستمرار بها.»

قالت بألم:«لكنك لا تريد ذلك.»

«لا تهتمي لما اريده، وعليّ القول انك تبدين شديدة الانوثة، هل من مزيد من الاشراق لبقية الليلة.»

لم تعلق على كلامه فجسدها كله كان يرتعش وهو يضع القلادة حول رقبتها ويحاول اغلاق القفل.

«هناك.» وادارها لمواجهته.

قالت السيدة اوليفنت:«الن تقبلها يا ادريان؟ اذكر ان والدك قبلني حين وضعه حول عنقي للمرة الاولى، يا لك من ولد غير رومانسي.»

وجدت لوسي ادريان ينظر اليها بطريقة غريبة تماماً. كان هناك عاطفة ما داخل عينيه، رغبة الرجل الحارة المفاجئة تجاه المرأة.

لا شعوريا همست:«آه، لا.»

لكن ادريان ضحك بشقاوة وقال:

«يجب ان اتصرف كما تصرف ابي من قبلي! لتحية هذه الفتاة الجميلة التي تقول كل كيرينيا انني سأتزوجها.»

بنفس مخنوق قالت لوسي:«اكرهك...»

لكنه الآن كان قد تخطى مرحلة اهتمامه سواء اكانت تحبه او تكرهه.

امسك بذراعي لوسي وقبلها.

www.elromancia.com

الفصل الثاني عشر

باغتت تلك القبلة النارية لوسي وحطمت كل دفاعاتها. فهي مغرمة به، لم تشعر بنفسها الا وهي تتجاوب معه، واستسلمت لعناقه بعاطفة جياشة توازي عاطفته.

ادريان كان مذهولاً، اذن هناك نار كامنة تحت غطاء الآنسة لوسي غريشام البارد المحافظ. كان هذا اكتشافاً اذهله وأثار فضوله.

«هذا رائع! هل لي ان اقول انك اديت دورك ببراعة تامة.»

شعرت بنفسها تموت امامه خجلاً وهي ترى نظرته المستمتعة الساخرة. تمنت لو انها لم تتجاوب معه.

لكن السيدة اوليفنت، غير العالمة اطلاقاً بالتيارات الخفية بينهما قالت بحب وسعادة:

«ذاك كان جميلاً جداً.»

ضحك ادريان ونظر الى لوسي، لكم تبدو شاحبة! ما خطب هذه الفتاة؟ لعلها لم تأخذ تلك القبلة بخفة وبساطة كما تخيل.

شعر بالانزعاج لكل هذا التمثيل لاجل والدته، ومنزعج من نفسه لدوره بهذا. امسك يدها ثم قال:«هيا... لنحافظ على حسّنا الفكاهي، لا داع لاخذ الامور محمل من الجد.»

لا داع لاخذ الامور على محمل من الجد! من وجهة نظره هو لا يهتم لها اطلاقا. القبلة التي كانت بالغة الاهمية لها لم تعن شيئا له، لا تعرف الآن اي احساس كان يعتريها بهذه اللحظات.

همس قرب اذنها:«آسف ان كنت قد ازعجتك، لم يبد انك تمانعين...»

همست بدورها:«آه، اصمت... لا تعرف كم اكرهك.»

مجدداً ضحك لكن حاجبيه ارتفعا للأعلى. ونظر اليها بانتقاد، هو لا يريد ان تكرهه لوسي، ماذا يريد اذن؟ سأل نفسه هذا السؤال بتجهم.

وصل لوكاس العجوز الآن ليدعوهم الى العشاء، حمل ادريان والدته الى كرسيها على رأس الطاولة.

كان العشاء رائعا، وبالنسبة للسيدة اوليفنت كان هذا حلماً يتحقق، لم تدر شيئاً مما كان يجول بخاطر ادريان او عن العاصفة التي تتفجر في قلب لوسي.

وكلما تلاقت نظرات لوسي بنظرات ادريان كانت تجدها تهكمية وبالتالي كان توترها يزداد.

وفرحت بانتهاء هذا العشاء الطويل. ثم فيما كان ادريان يشعل سيجارة وهم يحتسون القهوة، طلبت منها السيدة اوليفنت ان تعزف على البيانو.

«اجل، هذا صحيح.» وافقها ابنها وسار لفتح غطاء البيانو.

انحنى ادريان قربها وقد غمره الشعور بتعذيب الضمير. وبدت هي يائسة تماما.«لوسي!»

رمته بنظرة ممتعضة وسألت:«ماذا؟»

«هل انت شديدة الغضب مني هكذا لانني قبلتك؟ هل أهنتك بذلك؟»

«نعم.»

«لم ادر انك لا تطيقيني لهذه الدرجة.»

«ارجوك لننسى ما حدث.»

www.elromancia.com

«اذن انت حقاً تكرهيني ولا تطيقين قربي؟»
«لا ارى فائدة ترجى من مناقشة حقيقة مشاعرنا نحو بعضنا البعض، كل ما يحدث هو خطأ مريع.»
«لكنك انت...»
«اجل، انا من بدأ كل هذا.» قاطعته ونظرت اليه بغضب. ثم نظرت الى السيدة اوليفنت النائمة على كرسيها بعيداً ولا تتمكن من سماعهما.
«نعم انا من بدأ هذا.» كررت لوسي :«لكنه بدا الحل الامثل في حينه لكنني اجده الآن حلاً كارثياً.»
«لا شك لدي انك تتمنين الآن لو انك تركتني لمصيري وللعراك مع الثلاثة رجال ونصف. اعتبر نيكولاس نصف رجل لأن ذراعه اليمنى لازالت في الجبس.»
قالت له بعصبية:«هل عليك الوقوف هنا وازعاجي؟ لم لا تبتعد؟»
شعر مجدداً ولدهشته انه مخطىء بحقها وعليه ان يعتذر، يريد استعادة لوسي القديمة مجددا...
«اسف لاستيائك هذا لوسي. ان كنت انا المسؤول عن ذلك فسامحيني. فوالدتي وانا ندين لك بالكثير.»
«آه، ارجوك ابتعد عني وتوقف عن محادثتي.»
سار مبتعداً نحو والدته. نظر الى وجهها الضعيف الكهل، والى تعبير الرضى التام علي محياها.
وشعر بغصة في قلبه. يا لأمي المسكينة! لقد استمتعت حقا بهذه الامسية بما تعنيه لها. هي حقاً تريده ان يتزوج لوسي غريشام. هي تحب لوسي...
وبدأت فكرة جديدة تجول في خاطره. لنفترض انه تزوج فعلا لوسي غريشام. فهي لم تكن فقط جيدة وقادرة

على العناية بوالدته وبه، بل كانت جذابة جداً ايضاً. نهضت عن البيانو الآن واغلقته. وصل لوكاس للمساعدة في نقل السيدة الكبيرة الى غرفتها. وانتهى عناء الليلة المريرة الطويلة بالنسبة للوسي. قبلتها السيدة اوليفنت برقة وحب وتمنت لها ليلة سعيدة.
ارادت الهروب من اي مواجهات إضافية مع ادريان هذه الليلة لكن قبل ذهابه لمرافقة والدته الى غرفتها التفت اليها وقال:«هذه ليلة جميلة ... قد نسير معاً الى المرفأ قبل الخلود للنوم.»
بظروف عادية لا شيء كان احب الى قلبها من التنزه معه تحت ضوء القمر في هذه الليلة الصيفية الرائعة، لكن الآن بدا الامر مرعباً، فقد تألمت كفاية لهذه الليلة والافضل لها الهروب.
عاد ادريان الى الصالون مجدداً فبادرته قائلة ببرود:«لا داع لمزيد من التمثيل والتظاهر بيننا، ان لم تمانع فسأخلد للنوم.»
شعر بخيبة امل، وغمره شعور جديد من الاحباط. وادرك انه بات معتاداً على تنفيذ لوسي لرغباته.
«آه، هيا، لوسي... لم علينا التشاجر؟ بدّلي ثوبك هذا وتعالي للتنزه معي. اشعر بالتشنج جراء البقاء داخل المنزل الليلة واعتقد انك كذلك ايضاً.»
«ربما، لكني متعبة.متعبة جداً ولا اقوى على السير.»
«لا اصدق ذلك،انت تعانديني فقط. ما الذي دهاك يا لوسي؟ اعتذرت منك لاجل تلك القبلة...»
قاطعته بحدة قائلة:«آه، لا ارغب بسماع المزيد عن هذه القصة! اؤكد لك انها لم تعني شيئاً لي.»

www.elromancia.com

ضحك وقال:«هيا يا لوسي... لنكن اصدقاء كما السابق! ليست الامور بالسوء الذي تبدو عليه، اعترف اننا تورطنا قليلاً، لكن بإمكاننا التخلص من ذلك تدريجياً، انا لم ارغب بتخييب امل والدتي على الفور، لكن لربما كنت مخطئاً وكان عليّ اخبارها بالحقيقة.»

«اجل كان عليك اخبارها بالحقيقة.»

غريزة فضولية دفعته ليضيف:«هل تجدين فكرة زواجك مني كريهة وغير معقولة يا لوسي؟»

هزها السؤال المباشر فقالت:«هذا مستحيل، لا يمكنني التفكير بأمر اكثر سخافة وغرابة من هذا.»

«زواج ادريان اوليفنت بلوسي غريشام؟» سأل ادريان ذلك باستغراب.

«اجل.» ردت بصوت خافت.

«لكني قد ارغب بالاستقرار والزواج، ليس فقط لإرضاء امي بل لأجلي انا ايضاً.»

رمته بنظرة غاضبة وقالت:«اذن عليك حينها ايجاد زوجة مناسبة.»

«اوتجدين نفسك غير مناسبة؟»

«تماماً.»

صمت للحظة ثم عض شفته السفلى وضحك.

«في هذه الحالة علينا اذن دحض الشائعات التي تجتاح الجزيرة؟»

«تماما.» ردت ثانية.

«سأذهب في نزهتي وحدي اذن. تصبحين على خير يا لوسي. ولا داع لتكوني هكذا وكأن هذه نهاية العالم! انوي العودة الى القاهرة يوم الاثنين! فقد بقيت هنا مدة كافية،

وقبل عودتي ثانية ستكونين قد حضرت والدتي بعناية وذكاء حول اوهامها الخاطئة بشأن زواجنا المرتقب، تصبحين على خير.»

استدار وغادر الغرفة. ارادت ان تناديه، لتخبره انها ترغب بمغادرة فيللا فينيشيا والجزيرة...

لكنه كان قد غادر، واندفعت الدموع الآن من عينيها، دموع غزيرة كبتت جماحها منذ بداية هذه الليلة.

قررت كارول ديكستر انه حان الوقت للذهاب لرؤية لوسي. فصداقتهما اصبحت شبه مهملة منذ وصول آل فاندرلايت، وهذا كان يزعج كارول.

هذا الصباح وبعد تناول الفطور انطلقت كارول الى فيللا فينيشيا لتهنئة صديقتها الحبيبة على خطوبتها. أول من صادفت كارول كان ادريان ذاته وقد تأنق تماما فاعتقدته ذاهبا الى لقاء عمل صباحي.

سارت كارول مباشرة اليه ومدت يدها بالتحية وبابتسامتها المشرقة المعتادة:

«اود اطلاعك على مدى سعادتي العارمة لاجلك ولأجل لوسي، اتمنى انا وزوجي لكما السعادة.»

ادريان الذي بدا محبطاً وتعيساً لم يبادلها الابتسامة. ورد باقتضاب:«شكرا، اتيت لرؤية لوسي دون شك. سأعلمها بوصولك.»

«اسمع.» بدأت كارول لكنه كان قد ابتعد، زمت شفتيها وهزت رأسها قائلة:«حتى الوقوع في الحب او الخطوبة او مهما كان اسم العلاقة لم يلطف ويقلل من فظاظة ادريان هذا.»

ثم ظهرت لوسي في الحديقة. صدمت لوسي لرؤيتها، فقد

www.elromancia.com

بدت شاحبة، حزينة وبعيدة كل البعد عن الفتاة المرحة الناضحة بحب الحياة.

قالت بصوت مبحوح: «آه، اهلاً كارول.»

تجمد الترحيب المرح الذي اعدته كارول لصديقتها وظلت تحدق للحظات بلوسي بارتباك وحيرة «اذن يا صديقتي الحبيبة، ما الذي دهاك؟ ما الذي يجري؟ تمنيت لحبيبك السعادة المستقبلية فشكرني بمرارة وكأنني اتمنى له الموت السريع، ما الخطب؟ املت ان يكون هذا هو الامر المهم والسعيد في حياتك لقد اتيت والنوايا الطيبة تغمرني نحوكما معاً.»

تنهدت بعمق وابعدت عينيها عن نظرات كارول الفاحصة ناظرة الى النافورة الجميلة التي تزين الحديقة، لكن كل شيء في هذا الصباح الجميل كان يشعر لوسي بالحزن، فقد قضت الليل بأكمله البارحة في البكاء، وهذا الصباح فاجأها ادريان بقوله ببرود انه لم يعد يحتمل البقاء هنا اكثر لذا فقد ابلغ والدته بضرورة سفره الى القاهرة على الفور.

الآن لم يكن لديها ادنى فكرة عما عليها قوله لكارول لكن عليها قول شيء ما، سارت برفقة صديقتها عبر الحديقة دون ادراك وجهة السير، كانت سعيدة لرؤية كارول وقررت اعطاء بعض التوضيحات فقالت:

«لازال الوقت مبكراً بعض الشيء للامنيات بالسعادة، فخطوبتنا مجرد شائعة.»

«اتقصدين ان هذا غير صحيح؟»

«حسناً... ليس... تماماً.»

«اذن كيف بدأ كل هذا يا عزيزتي؟»

ابتلعت لوسي ريقها بصعوبة، كان من غير المعقول التحدث عن الامر بمصداقية وتجرد.

«آه... لا اقول ان لا سبب لهذه الشائعة، لكن ذلك لا يعني بالضرورة، انني وادريان سنتزوج في النهاية.»

«تقصدين انكما في طور تنمية العلاقة كي تصبح خطوبة؟»

«اذا احببت ان تصفي الامر كذلك، اجل.»

«لقد صدمتني يا لوسي، هذا غير منطقي. اما انك وادريان مغرمان ببعضكما واما لا.»

«آه، استطيع القول انه من الصعب عليك فهم ما يحدث، يصعب على المرء شرح مشاعره الخاصة حتى لاصدقائه المقربين.»

هزت كارول رأسها وقالت ضاحكة:«كنت آمل ان تجدي بعض السعادة يا عزيزتي. لكن بالنظر اليكما هذا الصباح استطيع القول ان لا مستقبل لكما معاً.»

فكرت لوسي بمرارة كم ان كارول محقة.

بعد لحظات توقفت لوسي والتفتت الى صديقتها قائلة:«لا تعتقدينني غير صادقة معك او خبيثة يا كارول، لكن المسألة كلها لا تزال في بدايتها وغامضة بعض الشيء، لربما سأشرح لك يوماً ما، لكني لا اريد المزيد من الثرثرة في الجزيرة، وان سألك احدهم... فقولي ان شيئاً لم يتحدد بعد بيني وبين ادريان.»

طأطأت رأسها موافقة وقالت بمرح:

«حسناً، لك ما شئت يا عزيزتي، بصراحة لقد انزعجت فاليري كثيراً حين سمعت بنبأ خطوبتكما.»

عاد اللون ليظهر على وجه لوسي الآن وعاد الوميض الى

www.elromancia.com

عينيها، فمن بين كل اناس الارض وحدها فاليري هي من لا ترغب لوسي بدحض الشائعة لها.

قالت لوسي:«حسناً، يمكنك اخبارها ان ادريان غير مهتم اطلاقاً بها بعد الآن.»

ضحكت كارول وقالت:«احب الاستماع اليك وانت تتكلمين هكذا، انت لا تحبين فاليري، اليس كذلك؟»

«اظنها عاملت ادريان بخبث وخداع حين كان بحاجة الى دعمها ومناصرتها.»

«تبدين واثقة تماماً ان ادريان مظلوم بكل ما قيل وبكل ما قالته فاليري عنه.»

«انا واثقة تماماً ان كل ما قيل كان اكاذيب.»

«كيف؟» سألت كارول بفضول.

«الامر فقط ان ادريان ليس من ذلك النوع، كان مجنوناً بحب فاليري حينها وما كان ليرضخ لإغواء فتاة يافعة وجاهلة كأفروديت لمجرد ان فاليري بعيدة عنه.»

«لكن نيكولاس رآهما معاً...»

«لا فائدة من الغوص في التفاصيل. لا اعرف الكثير لأجادل بشأنه لكني لا آبه لما رآه نيكولاس او لما اعتقد انه رآه، كل ما اعرفه ان آفروديت مجنونة وانها كاذبة ومخادعة. واظن القصة برمتها لم يكن لها اي اساس من الصحة وقد صدقها الجميع لأن فاليري بالذات تخلت عن ادريان، كان ذلك تصرفاً رهيباً من قبلها.»

وضعت كارول ذراعاً حول كتف لوسي وقالت بصوت حنون:«انت مغرمة بذاك الشاب اليس كذلك؟»

كان قلبها يخفق بقوة وتعاسة وفضلت الاجابة بتهكم نادراً ما تلجأ اليه:

«آه، لا اعرف اذا ما كنت اؤمن فعلاً بالحب او باستمراريته. الآن كارول اعذريني من فضلك، عليّ القيام بالكثير من الامور وادريان ذهب الى نيقوسيا، فقد تم ارسال برقية له من مكتبه الرئيسي.»

فهمت كارول ان لوسي تطلب منها بأدب ولياقة الانصراف والتوقف عن طرح المزيد من الاسئلة. فقبلت لوسي مودعة وغادرت. كارول لم تكن من النوع الحاقد او الحسود وكانت تحب لوسي لكن المسألة كانت لغزاً بالنسبة لها وسارت الى الفندق وهي مقتنعة ان الامر ليس على ما يرام بين لوسي وادريان، وان لا من زواج ممكن في الافق بينهما.

واول من قابلها بالطبع كانت فاليري التي تتلهف لمعرفة كل شيء عن زيارتها. لكن كارول لم تجب الا بما طلبته لوسي منها وبعبارة:«لا شيء محدد بعد.» ابتسمت بثقة قائلة:

«لا اظن شيئاً سيتحدد بينهما من الاصل، يا عزيزتي، اظن المسألة مجرد اختلاق من الآنسة لوسي الصغيرة، فأنا لا اتخيل ان ادريان قد يقع بغرامها.»

غضبت كارول ونسيت ان هذه زوجة الرئيس وقالت:

«حسناً، انت مخطئة بهذا. اعرف تماماً لما قد يقع ادريان او اي رجل آخر بحب لوسي. فهي رائعة وتساوينا نحن الاثنتان معاً.»

«هل رأيت ادريان؟»

«اجل.»

«وماذا قال؟»

«وما همك انت؟»

قالت:«يهمني ان اعرف فقط كيف تقبّل تهنئتك له.»

ردت كارول قائلة:«قال شكراً.»

«آه، حسناً. لربما سأذهب الى الفيللا بنفسي لتهنئتهما.»

«لو كنت مكانك لتركتهما وشأنهما. فليس من العدل القيام بأي تصرف آخر.»

«اعرف طيبة نواياك بإسدائي مثل هذه النصيحة... لكني لا احتاج اليها.»

وانتهت المحادثة عند هذا الحد تاركة شرخاً في صداقة كارول وفاليري.

كان جو الفيللا بدوره متوتراً وتنفست لوسي الصعداء برحيل ادريان الى القاهرة. وداعهما كان جافاً وبلياقة مجبرة من الطرفين.

«اشكرك مجدداً على كل ما حاولت القيام به لاجلي تلك الليلة.» قال ادريان ذلك بأدب قبل دخوله السيارة.

واجابت هي:«ما قمت به كان مهلكاً، انا من يعتذر منك فعلاً.»

«على العكس. لقد انقذتني من مواجهة عصيبة وصعبة وكانت ستنتهي بانتصار نيكولاس ورفاقه وتحقيق ما كانوا يصبون اليه. لا تقلقي عزيزتي لوسي، هذه المسألة ستحل نفسها بنفسها، لا اظنني سأعود الى كيرينيا الا بعد بضعة اسابيع. يمكنك اخبار والدتي تدريجيا انك بدلت رأيك بشأني والعكس صحيح. يمكنك القول ان كلانا تسرع قليلاً.»

«وهذا صحيح بالفعل.»

«لا تدعي هذا الامر يثير احباطك او استيائك ولا تخطر ببالك اية افكار سخيفة حول ترك العمل لدي. فكما تعرفين، والدتي بحاجة ماسة اليك، وسأحاول تحاشي المجيء ورؤيتك كي لا اضايقك.»

ثم رحل وبدت لها الحياة بكاملها فارغة وقاحلة، لكن على الاقل بعض توتر اليوم الاخير قد تلاشى الآن. والآن كل ما عليها القيام به هو الاهتمام بالسيدة اوليفنت وإسعادها قدر المستطاع.

لكن الايام التالية كانت صعبة عليها حقاً، فقد ارهقت نفسها في العمل ولم تكن تأخذ الا فترات راحة قصيرة تقضيها بالتنزه او السباحة. كانت تتحاشى لقاء آل ديكستر نظراً لوجود آل فاندرلايت برفقتهم، حتى الاصدقاء في البلدة صارت تتحاشاهم لأن الجميع كان يهنئها على الخطوبة ويسألها عنها. حتى رفقتها للسيدة اوليفنت صارت مؤلمة نظراً لانها لازالت تعتقد بوقوع لوسي وابنها في الغرام.

وبدأت تتساءل عن كيفية البدء بتخييب امل السيدة الكبيرة، يسهل عليها القول ان لا نية لدى ادريان بالارتباط الدائم. لكن كيف كانت ستنظر في عيني السيدة اوليفنت وإخبارها انها لا تحب ادريان؟

كل يوم كان عليها دفع ثمن الموقع الخاطىء الذي وضعت نفسها فيه، عليها تفسير سبب عدم إرسال ادريان لها اي رسائل.

«اعتقدته سيرسل لك ولو ورقة صغيرة كل يوم.» قالت الأم وهي تفتح بريدها المرسل اليها من ادريان:«كان والده كاتب رسائل رائع ولازلت احتفظ ببعض رسائله لي قبل وبعد الزواج.»

وكان على لوسي ان تضحك وتجيب:«جيلنا لا يتمتع بالحس الرومانسي السابق...»

«لكنك لست من نوع الفتيات العصريات يا لوسي،

وهذا من اكثر ما احبه فيك، انا واثقة انك تراسلينه.»
لم ترد لوسي على ذلك لكن فكرت كم هي تحب فعلاً الجلوس ووضع كل ما بداخلها في كلمات، لكم كانت رسائلها الى ادريان ستكون رائعة.
كانت تخشى زيارته المقبلة، لم تعرف ماذا كانت ستقول له، كيف ستخبره ان الوضع هنا لم يتبدل عما تركه عليه لو كان الامر يتعلق بها وحدها لسارعت بإخبار السيدة الكبيرة ولغادرت فيلا فينيشيا على الفور دون الحاجة لرؤية ادريان مجدداً ابداً، لكن كلما كانت تصمم على الايحاء للسيدة ان لا زواج قريب كانت بلانش اوليفنت تقول ان هذا الزواج المرتقب هو اغلى واحلى ماتتمناه في هذه الدنيا. وهذا كان يجبر لوسي على التراجع عن موقفها.
بدأت تشعر بالصداع وزاد نحول جسدها، كان المرض يبدو على هيئتها ويتغلغل داخل روحها وهذه لم تكن عادتها، وصممت على اخبار ادريان فور عودته بضرورة مغادرتها للفيلا ولقبرص.
مرت ايام الصيف الحارة ببطء شديد. وازداد شعور لوسي بالوحدة والمرض وكانت تتحاشى اظهار ذلك للسيدة الكبيرة، لكن نيتا لاحظت واخبرت لوسي كم هي تبدو نحيلة وشاحبة.
لم تعد تزور سانت هيلاريون او بيلابيس، لم تعد تذهب الى فندق آليستون، ولم تر نيكولاس منذ تلك الليلة في الحديقة. لكنها سمعت من الخدم ان نيكولاس ذهب وشقيقته الى اثينا وان الفندق مغلق في الوقت الحالي.
ولم يعد ادريان الى الجزيرة الا مع بداية شهر اغسطس. وكالعادة ارسل برقية الى والدته يخبرها بها عن

وصوله المتأخر يوم السبت قادماً بالطائرة من القاهرة. يبدو انه جال على كافة فروع شركته. لذا طال غيابه.
عرضت السيدة بلانش على لوسي البرقية واقترحت فوراً اقامة احتفالاً صغيراً لعودة ادريان الى المنزل.
«من المؤسف ان العمل ابقاه بعيداً عنك كل هذه الفترة. لكن الليلة سنحتفل بكما وبسعادتكما للقائكما ثانية.»
وقفت لوسي صامتة فقد اعتادت على مثل هذه التعليقات، لكن هذه الليلة وتبعاً لوصول ادريان شعرت بالقشعريرة تجتاحها. لن تتمكن من مواجهته.
للمرة الاولى لاحظت السيدة بلانش نحول لوسي وقالت بقلق:«الم تخسري الكثير من وزنك يا لوسي؟»
«آه... ربما.»
«اظن ذلك. لا اعرف لم الاحظ ذلك من قبل، سيغضب ادريان مني لعدم اعتنائي بك، انا عجوز انانية آخذ كل وقتك واهتمامك، ما الذي سيقوله لرؤيته عروسه الجميلة نحيلة جداً هكذا.»
اشاحت لوسي بنظرها بعيداً والدموع تكاد تنهمر من عينيها.
«آه، انا بخير. هو لن يلاحظ الاختلاف بي اطلاقاً.»
كانت تفكر... لا يسعني احتمال احتفال آخر كالذي مضى، لا يسعني احتمال مراقبة السيدة اوليفنت لنا، متوقعة منا التعبير عن سعادتنا باللقاء، يجب ان يطلعها ادريان على الحقيقة، يجب ان يفعل، ويجب عليها تحذيره من عدم قدرتها على الاستمرار بهذا.
كانت هذه ليلة رائعة، وكان الظلام بدأ ينتشر بوصول ادريان وترجله من السيارة، كان ادريان يشعر بالحر

والتعب، لكن عودته الى الفيللا كانت تشعره بالقلق تماماً كلوسي، ولطالما تساءل عما سيجده بعودته.

كما وتساءل عما سيكون عليه مزاج لوسي، وكأنه غادر الجزيرة قبل سنوات لا قبل اسابيع، ولم يعرف شيئاً بخصوص لوسي الا ما كانت تذكره عنها له والدته في رسائلها ومدحها لها واظهار كم هي تحبها ومتعلقة بها. لكن مقطعاً واحداً في رسالتها صدمه وشغل باله طيلة رحلة العودة.

أؤكد لك شيئاً واحداً يا بني الحبيب، هي تحبك بعمق وجدية. هذه المرة لن تكون كالمرة السابقة، فالحب والاخلاص هما وجهان لعملة واحدة مع لوسي، وقد سألتها بنفسي:«هل تحبين ولدي؟ فنظرت مباشرة الى عيني وردت:اجل، احبه. لذا فأنا اعرف ان ما قالته صادقاً.»

تلك الكلمات ومعناها صدمت ادريان وأثارت دهشته، بدا وكأنه من غير المعقول للوسي ان تغرم به، كيف تمكنت من النظر في عيني والدته والاعتراف لها بحبها له؟ هي تكرهه، هي تخافه، هو كان يعرف ذلك تماماً.

واعترف لنفسه انه يشعر بالحيرة. وسيسأل لوسي عن تلك الكذبة غير الضرورية. تمنى لو يتمكن من محادثتها قبل مقابلته لوالدته، وفور وصوله رأى لوكاس في الحديقة فناداه على الفور.

«قل للآنسة غريشام انني وصلت وانني ارغب برؤيتها.»

الفصل الثالث عشر

تلقت لوسي ذلك الطلب بذعر وخوف، اذن فقد عاد ادريان وعليها مواجهته.

خرجت الى الحديقة وانتفض قلبها لرؤيته، رماها بنظرة فاحصة سريعة، مع ان عقله كان يضج بالافكار الا انه لاحظ ان لوسي تبدلت كثيراً عما كانت عليه قبل سفره، وجهها الصغير بدا اشد نحولاً واكثر ارهاقاً، عادت لترفع شعرها بتلك الطريقة القديمة الصارمة ولم تكن قد وضعت اي ماكياج على وجهها وكأنها لا ترغب بأن تكون مشرقة كآخر ليلة له قضاها بالاحتفال معها ومع والدته.

شعر انها مريضة جداً وسألها قبل اي شيء آخر وباهتمام:«هل عانيت من مرض او حمى ما؟»

ارتعشت لوسي لنبرة الاهتمام في صوته لكنها اجابت:«لم اكن على ما يرام مؤخراً، في الواقع... لا اظن ان صيف قبرص يلائمني. واشك كثيراً بتمكني من البقاء هنا لاكثر من هذا. اردت اعلامك بهذا بعد العشاء.»

رفع حاجبيه وحدّق بها بعدم تصديق، بالكاد كانت هذه الفتاة ذاتها التي كانت في المهرجان.

قال:«رغبت بمحادثتك على انفراد قبل لقائي بأمي، لهذا طلبت من لوكاس استدعائك.»

«تعرف السيدة اوليفنت بوصولك.»

«لا بأس. لا شك ان والدتي ستعتقد انك هرعت الي للترحيب بي يدفعك شوقك اللاهب لرؤيتي.»

اندفع اللون الى وجهها والتمعت عيناها وقالت:«اخشى انها ستكون مخطئة باعتقادها اي من هذه الاشياء.»

«يا فتاتي العزيزة. لا حاجة لك لإخباري انك اصبحت فجأة تكرهيني تماما، فذاك لن يفاجئني، لكن هناك لغز او اثنين ارغب بحلهما قبل دخولنا الى والدتي. اولا تقولين ان كيرينيا اصبحت فجأة لا تلائم صحتك، هل الآنسة غريشام تقدّم استقالتها؟»

«اجل هذا ما تفعله الآنسة غريشام بالضبط.»

قال بحنق:«اذن انت تتخلين عن عملك؟»

«حاولت القيام بعملي على أكمل وجه طيلة فترة مكوثي هنا، لكن عليّ الذهاب بسبب تدهور صحتي، ولا يمكنك اتهامي بالتخلي عن العمل حينها.»

«لو كان السبب صحيا فعلا لما عارضت، لكني اعلم انه ليس كذلك، بل هو نتيجة هذا الوضع السخيف بيننا.»

«حسنا، فسره كما يحلو لك، فوحدي الملامة لبدء كل هذا، لم ارتكب بحياتي خطأ اكبر من هذا.»

«لوسي، لقد ناقشنا كل المسألة واعتقدت اننا توصلنا الى تفاهم ما، لم هذه العدائية المفاجئة اذن؟»

غمرها الاحساس بالحزن، لكنها كانت مصممة على البقاء ثابتة فقالت:«لا ارغب بأن اكون عدائية، لكن المسألة كلها صارت اكبر من قدرتي على الاحتمال.»

«اذن هل لي ان اسأل لم اخبرت والدتي بكذبة صريحة وخطيرة كتلك؟»

انتفض قلبها وسألت:«ماذا تقصد؟»

«اخبرتني في رسالتها الاخيرة انها سألتك ان كنت مغرمة بي وانك اجبتها بالايجاب. هي الآن مقتنعة بصدق ما

قلته لها، هل استمتعت بمشاهدة سعادة العجوز بدفعك إيانا اكثر داخل المستنقع الذي صنعت؟»

نظرت اليه بذهول، ولم تستطع الاجابة.

«كان هذا تصرفا غير لائقا ولا لطيفا منك، حتى ولو كان قصدك من ذلك اسعادها. طبعا كانت تلك هي الفرصة المناسبة لك كي تظهري لها بعض الرفض او على الاقل القول اننا لسنا واثقين من مشاعرنا تجاه بعضنا البعض.»

للمرة الاولى في حياتها خانتها الكلمات. فعاد هو ليقول:«حقا، يا لوسي، يبدو انك لم تفعلي شيئا مطلقا بشأن تحضير والدتي لإمكانية تبدّل مشاعرنا نحو بعضنا.»

قالت:«لما تضع كل العمل الصعب على كاهلي؟ ما الذي فعلته انت بهذا الشأن؟ كنت تراسلها هل ألمحت في اي من رسائلك اننا لن نتزوج؟»

ادرك انه اثناء غيابه لم يجرؤ على التلميح لامه بخطأ ما تعتقده كي لا يفسد عليها سعادتها وفرحتها العارمة بقرب حصولها على كنة واحفاد.

تكلمت لوسي ثانية قائلة:«عليك اخبارها بذلك بنفسك يا ادريان، انا لا استطيع، لا فكرة لديك عمّ كان الوضع عليه، كانت بالغة السعادة ولم تتوقف عن التحدث عنا معا بلهفة وفرح، وستكون مخطئا ان اعتقدت ان دوري كان سهلا.»

«انا واثق انه لم يكن كذلك. لكن آخر ما اريدك ان تفعليه هو ان تتركيها. فصحتها معتلة كما تعلمين. إذا ذهبت الآن فقد تتعرض لنوبة قلبية. هي تحبك كثيرا يا لوسي. وتعرفين جيدا مدى امتناني للسعادة التي ادخلتها الى قلبها منذ وصولك الى هذا المنزل، اعطيتها شيئا لم يكن بإمكان اي امرأة كجرترود ليتل اعطائها إياه. لا يمكن لوالدتي

تعويضك، اقترح الا تغادري الا بعد التفكير ملياً بالامر.»
تنهدت وقالت:«آه، لا اعرف ما عليّ القيام به.»
«سنجد طريقة ما.» امسك بذراعها وسار معها الى الداخل.
وقبل دخولهما الباب الرئيسي عاد ادريان ليتكلم معها بذات النبرة المتوسلة تلك التي يصعب عليها صدها.
«لا تقومي بأي خطوة الآن يا لوسي. بعد خلود والدتي للنوم سنتكلم مجدداً ونرى ما يمكننا عمله. الاهم حاليا هو عدم إثارة حزنها او استيائها.»
مجدداً كان على لوسي قضاء امسية مرهقة اخرى بالتظاهر امام السيدة اوليفنت، لكن ما اثار دهشتها ان ادريان كان بعيداً كل البعد عن السخرية الليلة بل على العكس كان بالغ الرقة واللطف. واخذ قلبها ينتفض كلما رماها بنظرة عميقة او مهتمة، وشعرت للحظات ان هذا ليس تمثيلاً من قبله بل حقيقة وازداد التوتر وتجمدت اوصالها مخافة ان تخونها نظرة ما وتخبره عن حقيقة شعورها نحوه.
لكن السيدة اوليفنت كانت راضية تماما، فقد عاد ابنها، واقاموا معاً احتفالاً بسيطاً بعودته وقد تقبلت عذر لوسي بوجع الرأس المسبب لصمتها معظم الوقت.
«المسكينة لوسي الحبيبة تشعر بتوعك جراء الحرارة المرتفعة. لا اظنها قادرة على العزف لنا هذه الليلة.»
«يؤسفني جداً سماع هذا يا امي.»
تمنت لوسي لو يستعيدا صداقتهما القديمة ومرحهما اثناء المهرجان، لكم كانت مجحفة بتلك الكذبة التي اخبرتها لنيكولاس والتي ادت بهما الى هذا الوضع.
شعرت بالارتياح لصعود السيدة بلانش للنوم.
«تعالا معاً لتقبيلي قبل خلودكما للنوم.» قالت السيدة

العجوز ذلك بمرح وسعادة:«فأنا ابقى ساهرة حتى ساعة متأخرة وانا اقرأ قصة المدينتين.»
رد ادريان:«آه، لم اقرأها ثانية منذ فترة طويلة. قد افعل اثناء وجودي هنا.»
«وهل ستبقى لفترة طويلة؟» سألته والدته بلهفة.
«سنرى.» رد من دون ان ينظر الى لوسي. وبعد ذهاب والدته قال ادريان للوسي:«رفضت مرافقتي في آخر مرة طلبت اليك الذهاب معي في نزهة. فهلا ذهبت الآن؟ لدينا الكثير لمناقشته واجد من الافضل قول كل ما لدينا تحت السماء والنجوم. لنذهب الى البحر.»
«حسناً، لنذهب.»
«لا حاجة للمعطف، فبالكاد هناك هواء في الخارج.»
استدارت نحو الباب وسار ادريان خلفها صافقاً الباب وراءه.
بعد حوالي نصف ساعة مرّت عبر بوابة فيللا فينشيا فتاة رشيقة طويلة القامة بفستان مسائي زهري وجاكيت سوداء صغيرة فوقه. تلصلصت نحو الصالون، فلم تجد احداً، فدخلت وهي تنظر حولها بفضول. نفس الصالون... شيئاً لم يتغير فيه.
وقفت للحظة تستمع للاصوات لكن شيئاً لم يصل الى اذنيها. ماذا حدث؟ اين الجميع؟ اين ستجد ادريان؟ بوب هو من اخبرها برؤيته في المطار هذا المساء.
وصممت فاليري فاندرلايت على مقابلة ادريان هذه الليلة بالذات، تحت غطاء تهنئته بالخطوبة ولمعرفة ما في داخل قلبه حقاً. بعد ان خسرت ادريان ارادت الايقاع به اكثر من اي رجل آخر، كانت مصممة على سلبه من لوسي غريشام التي تبغضها بشدة.

www.elromancia.com

لم تتوقع للحظة واحدة ترحيباً حاراً بها لا من ادريان ولا من لوسي ولا من الوالدة العجوز المريضة، لكن هذا لا يهمها، ادريان وحده من تكترث لأمره، كانت ستطلب محادثته على انفراد لامر طارىء.

تجولت في الصالون لبرهة ولم تر احداً فكل الخدم كانوا في المطبخ البعيد يتناولون طعام العشاء.

«لربما ادريان مع السيدة والدته في الطابق العلوي.» فكرت فاليري. لم يخطر ببالها مطلقاً انها سلكت الطريق الى الفيللا فيما نزل ادريان ولوسي من طريق البحر بعيداً عن الفيللا. كانت مقتنعة تماماً ان شيئاً لا يستعصي عليها فور تصميمها على نيله، وادريان كان جل ما تريده الآن، اخذت تصعد الدرج قائلة بصوت مرح:

« ادريان، لوسي، مرحباً. هل من احد في المنزل؟»

اجابها صوت ضعيف عرفت انه صوت الوالدة:« نعم، من الذي ينادي؟»

رأت فاليري الباب المفتوح فدخلت منه وتابعت بذات النبرة المرحة:«مرحباً.»

وجدت نفسها داخل غرفة نوم السيدة اوليفنت والتي تذكر تفاصيلها جيداً.

استقامت بلانش اوليفنت في سريرها. رمشت بعينيها بحيرة خلف النظارات السميكة التي تستخدمها للقراءة. متسائلة عن هوية الفتاة الدخيلة.

«تفضلي بالدخول، من انت؟... هل انت صديقة للوسي؟»

ثم توقفت السيدة الكبيرة عن الابتسام. فقد دخلت فاليري الآن دائرة الضوء وانتفض قلب السيدة بلانش الضعيف لرؤية هذا الوجه وسماع ذاك الصوت.

« هذا انت يا فاليري؟»

ضحكت فاليري واقتربت اكثر من السرير متابعة:

«اجل، اظن رؤيتك لي هي صدمة لك اليس كذلك سيدة اوليفنت؟»

كانت اكثر من صدمة، فقد حدقت السيدة بها كأنها تنظر الى شبح وقالت:«من اين اتيت؟ لم انت هنا؟»

«الم يخبرك ادريان انني حاليا هنا في كيرينيا؟»

«لا. ايعلم هو بذلك؟»

«بالتأكيد.» ردت فاليري بضحكة اخرى:«التقينا عدة مرات وتشاركنا السباحة معاً في حوض النادي صباح احد الايام قبل ثلاثة اسابيع فقط.»

تشبثت السيدة اوليفنت جيداً بالسرير فقد كانت ترتعش بشدة وبالكاد كانت قادرة على البقاء جالسة.«ادريان سبح...معك؟»

«اجل، ولم لا؟ نحن صديقان قديمان. على الاقل لسنا مضطرين لنكون اعداء لمجرد اننا فسخنا خطوبتنا، انا متزوجة الآن. الم تسمعي؟ اسمي فاليري فاندرلايت الآن، زوجي وانا في قبرص بداعي العمل. سنغادر الاسبوع المقبل لكني وددت رؤية ادريان قبل رحيلنا.»

حاول عقل السيدة اوليفنت فهم ما كانت فاليري تقوله، فاليري متزوجة من امريكي، هما هنا معاً، في كيرينيا...وادريان يعلم بذلك، وقد سبح معها يوماً؟ لا يمكنها استيعاب ما يقال لها. لكن كل كرهها وامتعاضها من هذه الفتاة عاد ليطغى على اي فكرة اخرى الآن، فبلانش لم تحب فاليري منذ اللحظة الاولى التي رأتها بها. ولاحقاً حين فسخت فاليري خطوبتها من ادريان لسبب

www.elromancia.com

غامض تجهله الوالدة، كرهت بلانش هذه الفتاة اكثر واكثر.
فاليري التي بدأت تشعر بالضجر سألت:«ادريان ليس هنا؟»
«لا، فقد خرج للتو هو وخطيبته.»
كانت هذه هي المرة الاولى التي تستخدم فيها السيدة اوليفنت تعبير «خطيبته» وقد لفظته الآن بكل حبها وتعلقها بلوسي.
«آه، اذن فخبر خطوبة ادريان صحيحاً؟»
ردت السيدة اوليفنت ببرود:
«حسب علمي.»
«الن تطلبي مني الجلوس والتحدث؟»
شعرت بلانش بقشعريرة برد وبعض الألم جهة قلبها لكنها جاهدت كي تحافظ على هدوئها وقالت:
«يا فتاتي العزيزة، لا اظن ان لدينا ما نقوله لبعضنا البعض. انت متزوجة الآن من رجل آخر واتمنى لك السعادة. لكني لا ارغب مطلقاً بأي حديث معك، فقد كنت السبب في الماضي بتعاسة ولدي و...»
«آه، الآن انصتي جيداً سيدة اوليفنت.» قاطعتها فاليري بضيق صدر:«لا ارى لم لا يشملني تعاطفك او يخصني وحدي. واذا كنا سنغوص مجدداً في الماضي، فلم برأيك فسخت خطوبتي من ابنك؟»
«حقا...» بدأت بلانش بالاحتجاج لكن صوتها كان يرتعش.
تابعت فاليري التحدث بصوت ممتعض:«هذه ليست المرة الاولى التي يتم التلميح بها الى انني الشخص البغيض الذي تخلى عن ادريان. بدأ هذا الامر يزعجني. لا تفسخ الفتاة خطبتها دونما سبب كما تعلمين.»
«لست مهتمة بسماع السبب.»

«بل اهتمي.» قالت فاليري بصوت قاس:«انت والآخرون وضعتم اللوم عليّ، لكن آن الاوان لك لتعرفي اني فسخت الخطوبة لأن ادريان خذلني وخانني.»
شهقت السيدة اوليفنت وقالت:«كيف تجرؤين على قول هكذا شيء؟ غادري المكان على الفور.»
«لا تقولي انك لا تعرفين! كل كيرينيا تعرف هذا.»
فقدت فاليري اعصابها الآن ولم تكن على علم بحالة السيدة اوليفنت الصحية فتابعت:«والدتي نفسها نصحتني بفسخ خطوبتي منه لأن ادريان تصرف بطريقة مشينة، بإغوائه تلك الفلاحة الصغيرة وجرها الى مرسمه.»
نزعت بلانش نظارتها وحدقت بالفتاة بعينين داكنتين وقالت بصوت خافت وكأنه من العالم الآخر:«هذا... غير صحيح...غير صحيح....»
«بل صحيح.» اصرّت فاليري:«الجميع يعلم ذلك، كان يعبث مع شقيقة نيكولاس الصغرى، وجدهما معاً نيكولاس في احدى الليالي داخل الاستديو. كيف بإمكانك لومي على فسخ الخطوبة؟ ما كنت لاخبرك لو انك لم تلق بكل اللوم عليّ! لكن ما اهمية ذلك كله الآن! انا تزوجت رجلاً آخر وادريان كما تقولين سيتزوج لوسي غريشام و...»
توقفت الكلمات على شفاهها وشهقت بقوة. فقد ارتمت والدة ادريان على الوسادة. شفاهها كانت زرقاء وانفاسها شهقات قصيرة متألمة.
ادركت فاليري حينها انها تمادت كلياً. كانت مرعوبة مما نطقت به ومن اختيارها لكلماتها، استدارت وغادرت الغرفة وهي تصيح:«النجدة! النجدة!»
سارعت نيتا بالخروج من غرفة الخدم صاعدة السلالم نحو

www.elromancia.com

فاليري الشاحبة، المرتعشة والتي كانت تشير الى غرفة السيدة اوليفنت قائلة:«اذهبي الى سيدتك. صعدت لرؤيتها فوجدتها على هذه الحالة...»

اندفعت نيتا داخل الغرفة ثم سمعت فاليري صرختها التي جمدت عروقها.

«انها ميتة... سيدتي ميتة.»

ظلت فاليري فاندرلايت متجمدة مكانها للحظات. في تلك اللحظات غادرتها كل انانيتها تاركة مكانها شعوراً طاغياً بتأنيب الضمير سيبقى يلاحقها حتى آخر ايام عمرها، فقد ادركت انه لو كانت نيتا مصيبة فإنها هي المسؤولة عن موت بلانش اوليفنت.

فجأة اجتاحها الخوف من فكرة وصول ادريان ومعرفته بما حصل، فحينها لا بد سيقتلها. عليها الذهاب فوراً الى بوب... بوب الذي يحبها ويصدق كل كلمة تتفوه بها. صكت اسنانها واهتزت ركبتاها وشاهدت نيتا تغادر الغرفة.

«اخبري... سيدك انني جئت لزيارته...لكني وجدت والدته على تلك الحالة... تلك الحالة...»

بالكاد فهمت نيتا ما كانت فاليري تقول. كانت السيدة اوليفنت ميتة... او على وشك الموت... لكن عليها اخبار لوكاس لاستدعاء الطبيب والبحث الفوري عن السيد ادريان الذي غادر برفقة لوسي.

نزلت نيتا السلالم كالصاروخ منادية للوكاس فسارعت فاليري بدورها بمغادرة المكان.

كانت فاليري ذاتها هي من نقل خبر المأساة التي حدثت في فيللا فينيشيا الى ادريان.

كان ادريان ولوسي في طريق عودتهما الى المنزل بعد

حديث طويل غير مثمر.تنزهها بمثل هذه الليلة الجميلة مع ادريان كان ليكون رائعاً لولا حزنها ويأسها من حبها الذي بلا امل. لذا وخلال كل مناقشاتهم التالية كانت تلجأ الى البرود والتقوقع على نفسها مما اكد لدى ادريان الاحساس بأنها فعلاً تكرهه.

وإن كانت بعض افكار تحويل هذه الخطوبة المزعومة الى اخرى حقيقية قد داعبت خياله في وقت من الاوقات، الا انه الغى الفكرة هذه نهائياً بعد حديثه مع لوسي هذه الليلة.

«اقترح ان تخبري امي حين اسافر انك بدلت رأيك وانا سأراسلها واكتب لها الامر ذاته من ناحيتي.»

ردت لوسي ببرود:«حسناً. وبعد ذلك اخشى انني سأكون مضطرة للعودة الى انكلترا.»

«الى اين؟»

«آه، لدي اصدقاء... والآن تحسنت حالة عيناي وبوسعي دوما الحصول على وظيفة في وزارة الخارجية لديَ المؤهلات لذلك.»

«حسناً، ان كان لزاما عليك الذهاب، فاذهبي. يبدو ان امي المسكينة هي من ستعاني من جراء كل هذا.» ثم اضاف بمزيد من المرارة:«حقاً، يا لوسي، ان كان هذا كل ما انت مستعدة لفعله لها، فلم صرّحت بتلك الخطوبة المزعومة لنيكولاس وبدأت كل هذه الورطة؟»

«لا داع للعودة الى ذلك مجدداً، سبق واعترفت بارتكاب تلك الغلطة. ماذا تريدني ان افعل بشأنها الآن. تحويل نفسي الى زوجتك المستقبلية المحبة؟»

«بالكاد محبة.» رد ادريان بضحكة ساخرة:«لا يا عزيزتي، كانت تلك لتكون المصيبة الكبرى... اثنان يشعران نحو

بعضهما بالطريقة التي نشعر بها ومرتبطان للابد معاً، لا. لا! هذا مستحيل.»

هنا بالضبط انتهى النقاش بينهما.

قابلتهما فاليري المندفعة بطريقها الى الفندق وهما في هذه الحالة النفسية. توقفا فور رؤيتها. وصلت فاليري اليهما، للحظات ظلت واقفة بأنفاس متقطعة وعينين جاحظتين فهي لم تكن واثقة مما عليها قوله. رماها ادريان بشبه ابتسامة ساخرة وقال:

«مرحبا والى اللقاء.»

لكن لوسي لاحظت النظرة في عيني فاليري وادركت حصول خطب ما. وكأن الفتاة مذعورة جداً من شيء ما. قررت فاليري التصرف بسرعة فانفجرت بالبكاء ومدت يدها لتتمسك بذراع ادريان وكأنها توشك على السقوط.

«آه، ادريان... حدث شيء مريع!»

«ماذا؟ من اين اتيت؟»

«من فيللا فينيشيا، اردت رؤيتك انت ولوسي لأتمنى لكما التوفيق شخصياً.» توقفت فاليري قليلاً وهي تنتحب ودموع تأنيب الضمير والذنب تنحدر بحرارة على وجهها: «نزلت نيتا عن السلالم كالمجنونة فور وصولي الى الفيللا... قالت... قالت ان والدتك شديدة المرض... شديدة المرض جداً.»

شد ادريان على ذراع فاليري بقوة جعلتها تصرخ الماً.

«هل تعرضت لنوبة قلبية جديدة؟ ماذا قالت نيتا لك؟»

«تعتقد... قالت... آه، ركضت الى الغرفة لاساعدها... اذا كان ذلك ممكناً.. اتصل لوكاس بالطبيب جونز... لكن... والدتك كانت فاقدة الوعي... اظن... اظنها ماتت.»

غص قلب لوسي. تجمدت ورمت ادريان بنظرة رعب سريعة. افلت ذراع فاليري واستدار مهرولاً بسرعة جنونية الى الفيللا.

ظلت فاليري تنتحب متسائلة عما اذا كانت الخادمة ستؤكد روايتها وقالت: «اليس هذا مريعاً؟»

لكن لوسي لم تنتظر لتجيبها فقد هرعت خلف ادريان دون ان يراودها الشك لحظة واحدة بصدق قصة فاليري.

كانت الساعة التالية مليئة بالفوضى العارمة. وجدت ادريان في غرفة والدته ممدداً قرب سريرها وممسكاً اليد النحيلة بين كفيه فيما نيتا تشهق بدموعها ولوكاس يبكي بصمت قربها. كان قد اتصل بالطبيب الذي يكاد ان يصل بأية لحظة الآن. لكن حالياً بدا وكأن بلانش اوليفنت كانت قد فارقت الحياة، او انها غارقة في غيبوبة. استدار ونظر الى لوسي فور وصولها قائلاً:

«دواؤها... اعطني الزجاجة... لوسي.. دلكي قلبها... اعيديها الى وعيها يا لوسي... افعلي شيئاً.»

نفذت رغباته واخذت مكانه قرب السرير لكن اليأس سيطر عليها بإمكانية انعاش بلانش اوليفنت ...

الوجه الاصفر... الشفاه الزرقاء ... وضعت قطرات الدواء داخل فمها. دلكت منطقة القلب ثم اجرت لها التنفس الاصطناعي. سمعت ادريان يطرح الاسئلة على نيتا. والآن انفجر صوته كالبركان الغاضب وهو يصرخ: «تقولين ان فاليري كانت داخل غرفة امي... وانها كانت تنزل السلالم وتناديك؟ هل هذا صحيح؟ لكن كيف وصلت الى هنا؟ هل جننت لادخالها الى هنا؟»

قاطعت نيتا صياحه قائلة: «لا، لا... لم ادخل فاليري الى هنا... دخلت هي وحدها بعد رحيلكما دون شك... انا لم ا

رها كنت اتناول العشاء في الجناح قرب المطبخ... لم ارها تدخل... لم ارها الا حينما كانت تصرخ طالبة النجدة.»

رمت لوسي ادريان بنظرة فوجدته كالمجنون ووجهه يتفجر غضباً وحزناً:«هل سمعت يا لوسي! سمعت هذا! لا بد ان فاليري صعدت الى هنا واخبرت امي شيئاً... شيئاً عني... الارجح القصة القديمة المشؤومة ذاتها. هذا ما قتلها آه، لوسي، لوسي، الا امل لها بالحياة؟! سأذهب الى فندق الدوم الآن و...»

«اهدأ.» قاطعته لوسي:«حافظ على عقلك يا ادريان انتظر وصول الطبيب.»

لكن ادريان لم يكن قادراً على الانتظار. اندفع خارج المنزل ووصل الى باب الحديقة حين وصلت سيارة الطبيب.ثم دخل الرجلان معاً وسارع الطبيب العمل وطلب من الجميع مغادرة الغرفة باستثناء لوسي.

كانت العشر دقائق التالية كابوساً للوسي. فقد مرّ في بالها كل الاحتمالات السيئة فيم هي تساعد الطبيب. لكم سيكون رهيباً لادريان ادراكه كل لحظة من لحظات حياته ان امه الحبيبة ماتت بسبب ما سمعته عنه. لكن قلب بلانش وبمساعدة الطبيب عاد يخفق بشكل منتظم. كانت هذه من اسوأ النوبات القلبية التي تعرضت لها السيدة الكبيرة، لكنها تغلبت عليها.

عند اول اشارة لانعاشها ... لمحة من اللون على الوجه، ركضت الى الممر. كان ادريان يذرع الممشى ذهاباً وإياباً. امسك بكتفيها وهي تسير نحوه وهتف:

«هل ماتت؟ هل ماتت؟»

بكت لوسي وقالت:«آه يا حبيبي ادريان! ستكون على

مايرام. هي لازالت على قيدالحياة، يقول الطبيب جونز انها ستكون على مايرام...»

زلت كلمة حبيبي من بين شفتيها عفوياً وبدا ان ادريان لم يسمعها اصلا. فقد غمره شعور هائل بالراحة. امسك بها وشدها اليه وعانقها وكأنها طفلة.

ناداهما الطبيب قائلاً:«تعالا انتما الاثنان، السيدة اوليفنت ترغب برؤيتكما...»

قال الطبيب وعينه لازالت على مريضته:

«ترغب بقول شيء لكما. لا تجهداها بالكلام، ستكون بخير الآن، لكن عليها ان تحظى بعناية فائقة وراحة تامة وكلية. تشبثها بالحياة لأجلك انت يا ادريان، الافضل ان تستلم الآنسة غريشام مسألة العناية بها الليلة اذا استطاعت.»

ردت لوسي: «اجل، سأفعل بالتأكيد.»

جثى ادريان قرب سرير والدته. وابتسمت له بوهن ثم علت وجهها نظرة قلقة وقالت:

«ادريان... ادريان... تلك الفتاة...»

«لا تقلقي بشأنها يا حبيبتي... اخلدي للنوم والراحة...»

«لا استطيع، حتى تخبرني...»

«اخبرك بماذا يا امي الحبيبة؟»

«فاليري... فاليري اتت الى هنا...»

«اعرف.»

«قالت... قالت شيئاً رهيباً.. عنك وعن اخت نيكولاس..»

اقتربت لوسي حينها منهما، وجثت قرب ادريان. لم تنتظره ليجيب. بل قالت هي بهدوء:

«لا تصدقي حرفاً واحداً مما قالته تلك الفتاة ايتها العزيزة الغالية، لقد رددت فقط بعض الشائعات القذرة، الناس

معتادة على الثرثرة وتناقل الشائعات في مكان صغير كهذا، لا يوجد كلمة حقيقية واحدة في كل ما قالته لك. انت تعرفين وانا اعرف ان ادريان من اروع واشرف الرجال في هذه الدنيا. كانت آفروديت مجرد عارضة لديه. لا شيء اكثر غير كونها فتاة غبية وقروية جاهلة.»

تحولت نظرة السيدة اوليفنت الى لوسي الآن ونظرت اليها بحب متمتمة:«انت تثقين به ... وانا كذلك بدوري، سأنسى ما قالته فاليري تلك. كانت شريرة وقاسية وانا لم احبها يوماً اصلاً.»

خانت ادريان الكلمات في تلك اللحظة. لكن قلبه كان يخفق بشدة نحو لوسي بامتنان خالص. همست السيدة اوليفنت:«انتما... تحبان بعضكما البعض، ستتزوجان، اليس كذلك؟ ارغب بهذا من كل اعماق قلبي.»

ثم قام ادريان وبجهد هائل بوضع كل كبريائه وحبه لذاته جانباً. شعر انه كاد ان يخسر هذه المخلوقة الاحب الى قلبه والى الابد هذه الليلة، وانه مستعد للقيام بأي شيء في العالم لاسعادها. نظر الى لوسي بتعبير متوسل في عينيه. لكنه وضع ذراعه حول كتفها وقربها اليه بلطف قائلاً:«اذا قبلت لوسي بي يا امي، فلا شيء اريده في هذه الدنيا اكثر من ان تكون هي زوجتي المستقبلية.»

شهقت لوسي لا اراديا، لكنه قربها منه اكثر وهمس في اذنيها وكأنه يقبلها قائلاً:«لا تجادلي، لا ترفضي، لا تفعلي اي شيء الآن، اتوسل اليك.»

شعرت لوسي ان لا رغبة لديها للنقاش. ففي عقلها المشوش حقيقتان فقط كانتا واضحتين. الاولى اعلان ادريان الصريح بالرغبة بها كزوجة مستقبلية، والثانية نجاة السيدة اوليفنت.

سمعت السيدة اوليفنت تهمس قائلة:«يا حبيبي ادريان لقد اسعدتني حقاً.»

تابع ادريان ما يفعله وقال للوسي:«فور استعادتك لعافيتك كاملة ويصبح بوسعك حضور الاحتفال فسنقيم حفل الزفاف.»

احمرت وجنتاها بشدة، نظرت اليه بذهول فلم تجد اي سخرية داخل عينيه الزرقاوين.

نظراليها بجدية وسأل:«هل تتزوجينني يا لوسي؟»

لم يكن بمقدورها قول لا، عرفت ان بلانش متعلقة بجوابها. وسمعت صوتها يقول:«اجل، بالطبع.»

تنهدت السيدة بلانش واغمضت عينيها، غص قلب لوسي لاعتقادها بموت الوالدة لكن الطبيب جونز كان هناك واصبعه على رسغها الضعيف. رمى لوسي وادريان بنظرة سريعة وابتسامة قائلاً:

«انها بخير... لقد استغرقت في النوم الآن، لا داع للقلق.»

نهض ادريان وانهض لوسي بدورها. لم تكن ترى شيئاً من الدموع التي كانت تعميها، سمعت الرجلين يتناقشان. سيرسل الطبيب ممرضة غداً صباحاً. سيحرص هذه المرة على تأمين الرعاية الطبية الكاملة والهدوء التام لمريضته. سمعت ادريان يقول بذات النبرة الغاضبة السابقة:«لو حدث اي سوء لوالدتي اقسم انني كنت لاذهب الى فندق الدوم واخنق تلك الفتاة بيدي.»

وجدت لوسي نفسها تقاد خارج غرفة النوم، عبر السلالم، ثم الى غرفة الصالون حيث ارتمت على الكرسي الكبير. سمعت صوت سيارة الطبيب تغادر وصوت خطوات ادريان تعود ادراجها الى حيث هي. صعدت نيتا بعد ذلك الى غرفة المريضة لتبقى فيها الى ان تأخذ لوسي مكانها هناك لاحقاً.

في سكون الليل لم يكن يسمع الا صوت دقات الساعة الخشبية الجميلة في الممر.

حين رفعت لوسي رأسها وجدت ادريان ينظر اليها. لم يكن من هدوء في عينيه بل قلق عارم وبدا متعباً لدرجة هائلة. لكن حين نظر الى وجهها المتعب وعينيها الدامعتين رقّت ملامحه وقال بحنان:«شكراً لك لمساعدتي في انقاذ امي هذه الليلة.»

«انا... انا لم افعل شيئاً.»

«على العكس، فور وصولنا الى هنا وكالعادة، كنت الاكثر تعقلا وفاعلية...»

«انا لم افعل شيئاً، والشيء القليل الذي قمت به، ولا بد انك تعرف ذلك... لانني احب والدتك حبا جما.»

رد ادريان لا شعورياً: «بإمكاني الوقوع في حبك انت لاجل ذلك وحده يا لوسي.»

ادارت رأسها بعيداً. انه قد يحبها، لانها تحب امه، وانه سيتزوجها ليرضي امه. قالت فجأة:«آه. لا يمكننا الزواج، هذا مستحيل. قلت بنفسك ان كل هذا كان موقتاً، لانقاذها فقط. هذه الليلة كنا مضطرين لإعادة تجديد وعودنا بالخطوبة والزواج لان ذلك بدا امراً مصيرياً بالنسبة للسيدة الوالدة. لكن يمكننا تبديل ذلك لاحقا. لا يعقل انك قصدت فعلاً ما قلته لها.»

«ولم لا يا لوسي؟»

«حسناً... انت... انت لا ترغب فعلياً بذلك.»

«كل ما ارغب بفعله حالياً هو الامساك بالسيدة فاندرلايت وارتكاب جريمة.» قال بضحكة:«لكن في الوقت نفسه علينا تسوية الامور بيننا. من اهم الامور الآن انه فور استعادة

امي لعافيتها الا تتعرض لاي خيبة امل قاتلة ثانية مطلقاً.»

«لكن لا يمكن للمرء الزواج، فقط لارضاء والدته.»

«سبق وفعل الناس هذا، قبل قرن من الزمان كانت معظم الزيجات تتم لإرضاء الاهل يا عزيزتي.»

«لكن هذا لا يحدث قبل مئة سنة بل الآن.»

«لا تدعينا نتجادل، لنكن عمليين وواقعيين. امي هي كل حياتي ورغبتها هي ان اتزوجك، انت تحبينها بدورك، ليس بقدر حبي لها، لكن ما يكفي لجعلك ترغبين بإسعادها. انت وحيدة في هذه الدنيا، لا اقارب لك او ارتباطات، وسبق واخبرتني انك غير متعلقة بأحد من الشبان. اذن لم لا؟ لنتفق على عقد زواج عملي نرتبط به معاً بما يرضي كل الاطراف.» تابع ادريان قائلاً:« اعرف انك لا تهتمين بي، وانا لا الومك لذلك، انا رجل لا يطاق، وحدها امي المسكينة تعتقد انني رجل طيب وجذاب. لكني لا اطلب منك رؤية هذه الجاذبية بي او التظاهر بحبك لي. فقط تزوجي بي وفوراً اذا اردت.»

«افهم هذا كليا. لكني لا اظنه سيكون زواجاً ناجحاً، الزيجات المدبرة لم تنجح ابداً.»

«الزواج كمؤسسة لا تملك فرصاً كبيرة للنجاح، لكن الزواج المعتمد على الصداقة والدافع القوي قد ينجح فعلا.»

ردت لوسي:«هذه نظرية ساخرة.»

هز كتفيه وقال:«كما تريدين. لكن كوني منطقية يا لوسي، انت تحبين منزلي وتحبين والدتي. لم تغادرين قبرص والذهاب للبحث عن وظيفة في عالم غريب؟ لم لا تتزوجيني وتجعلي فيللا فينيشيا منزلك الدائم؟ تعرفين مركزي، لدي مدخول جيد، بإمكاني جعل حياتك رغداء وسأبذل جهدي لأكون لك زوجاً صالحاً وبقدر ما تسمح لي به طبيعتي البغيضة.»

رفعت نظرها اليه بعدم تصديق، اذن هو يعني فعلاً ما يقول! يريدها ان تتزوجه وها هو يتحدث عن «الزواج الصالح» هي لا تصدق ما تسمعه.

شعرت بيديه حول كتفيها وبشده لها برفق نحوه:

«هل تكرهين لهذه الدرجة فكرة ارتباطك بي؟»

حين لم تجب ألح قائلا:«حسنا؟ هل انا منفر بنظرك لتلك الدرجة؟»

ضحكت بارتباك لشعورها بعكس ما يقوله تماماً وقالت:«لا، لا تكن سخيفاً يا ادريان.»

«حسناً، اذن. هل ترضين بالوظيفة الجديدة التي اعرضها عليك وهي ان تعتني بوالدتي كونك كنتها وبي كوني زوجك؟»

«انت... انت لا ترغب بهذا فعلاً، لا؟»

«بل اريده وبشدة، رغم غرابة هذا... ومع انني صعب المراس ولا اطاق احياناً، لكني اكنّ لك احتراماً كبيراً. في الواقع، انت تعجبينني.»

«لكنك لا تحبني... ولا مقدار بوصة.»

تابع قائلاً:«الصداقة والاحترام اساس ثابت لأي زواج ناجح هل يمكنك ان تكوني صديقة لي ثانية يا لوسي؟»

«انا... انا لا اشعر بالعدائية او بعدم الود نحوك ادريان.»

«حسناً، اما فيما يتعلق بنصف الزواج الثاني، فيمكننا منح انفسنا الوقت، يمكننا الحفاظ على زواج افلاطوني في البداية، ان كان ذلك يناسبك، لكن من الطبيعي كوني متزوجاً، ان انجب اطفالاً. ستحب والدتي ذلك.»

«لنفترض انني لا اريد ذاك النوع من الزيجات؟»

«سأتفهم ذلك تماماً، لكن بوسعنا التوصل الى اتفاق،

والتضحية لن تكون من طرفك وحدك كما تعلمين. والاكثر من هذا تستفيدين من ذلك، فهكذا لن تضطري للعمل ثانية.»

«انت شخص دون قلب.»

«حقاً؟» نظر الى وجهها الممتعض وقال:«آه، حسناً، ارى انك ترفضين لقائي في منتصف الطريق.»

حينها استسلمت وقالت:«بل سأفعل. سأفعل! لكن كن عادلا... انا لا اعرف اين اقف، كل هذا مجرد اجراء بارد، مادي لا روح فيه، لا اعرف ماذا افعل او ماذا اقول، لكني سأتزوجك، اذا اعتقدت ان هذا هو الحل الافضل وانه سيؤمن السعادة للجميع، سأفعل يا ادريان صدقاً، ولطف منك طلب هذا مني.»

قال:«هل تعنين هذا حقاً يا لوسي؟»

«اجل.»

«حسناً، شكراً لك.»

«بل شكراً لك.» قالت بصوت مخنوق.

«هذا على الاقل سيسعد والدتي كثيراً. ان لم تمانعي فسأهتم بترتيبات الزفاف على الفور... سنقيم الحفل هنا في المنزل. سنحضر القنصل البريطاني ورجل الدين الى هنا. كلما اسرعنا بذلك كلما كان افضل لسرعة لشفاء والدتي.»

«حسناً.»

«انا حقاً ممتن لك. انت انسان متسامح.»

حافظت على رباطة جأشها وقالت:« انت كذلك بدورك، لا تعتقد ان طلبك هذا لا يشرفني.»

«سأحاول الا اجعلك حزينة. فيما يتعلق بالناس فأشك ان كان اصدقاؤنا واعداؤنا في قبرص سيعتبرون انك تنصفين نفسك بزواجك مني.»

www.liilas-romance.com

ذاك كان ادريان الذي تحبه فقالت:«لا آبه مطلقاً لما يعتقدونه او يعتبرونه. كارول وديكس وحدهما اصدقائي اما الباقين... آه، اجل، على فكرة، ماذا بشأن فاليري؟»

«سأصفي حسابي مع تلك الوقحة.»

«نحن لا نعرف تماما بعد ما الذي قالته...»

«بل نعرف. اخبرتنا امي. بثت سموم كل قصتي واعتدائي المزعوم على آفروديت.»

« لا تقم بأي عمل طائش الآن. فهي لا تستحق مجرد التفكير بها. لحسن حظها وحظنا جميعاً ستكون والدتك على ما يرام. لا تقابل فاليري ثانية يا ادريان، لا اريدك ان تفعل.»

خرجت الكلمات من فمها قبل ان تتمكن من ايقافها واندهش ادريان لشعورها بالتملك ذاك وقال بابتسامة:«آه! اذن خطيبتي العزيزة تمارس سلطاتها منذ الآن؟ حسناً، حسناً لكني لن اكون قادراً على منع كباح نفسي من تلقينها درساً قاسياً ان رأيتها.»

«اخلد للفراش يا ادريان. تبدو مرهقاً جداً.»

«وانت كذلك ايضاً.»

«لا... انا بخير. سأذهب للجلوس قرب سرير والدتك.»

«لا يمكنك البقاء مستيقظة طيلة الليل.»

«سآخذ وسادتي واستلقي على الكنبة قرب سريرها. قد اغفو قليلاً، لكني سأصحو فوراً اذا استيقظت هي وارادت شيئاً.»

قال بتأثر:«انت فتاة طيبة.» سآتي لاحل مكانك بعد ان انام بضع ساعات.»

«لا داع لذلك. بإمكاني تدبر الامر. انا على ما يرام.»

تمطى وقال:« يا لها من ليلة...»

«اجل، يا لها من ليلة.» مد يده نحوها:

«تعالي وتمني لي ليلة هانئة.»

«تصبح على خير يا ادريان، ولا تقلق مجدداً ابداً، سأنفذ كل ما ترغب به وسيكون كل شيء على مايرام... انا واثقة من ذلك.»

كانت تنطق بسيل الكلمات تلك وهي تغادر الصالون وتصعد السلالم مبتعدة عنه.

كانت احداث الاسبوعين التاليين مليئة بالغبطة بالنسبة للوسي، فصحة السيدة اوليفنت كانت في تحسن مستمر، وبعد اسبوع من العناية التمريضية الدقيقة اعلن الطبيب ارنولد انها تخطت مرحلة الخطر. فقد وظف لهذه المهمة ممرضة متوسطة العمر.

خفف ذلك بعض مهمات لوسي القليلة اصلاً ووجدت نفسها الخطيبة الرسمية لأدريان اوليفنت الآن. ونشر ادريان خبر خطوبتهما في الصحف المحلية وفي صحيفة التايمز. وانهالت برقيات التهنئة عليهما وضمنها برقية من مدير لوسي السابق في القاهرة حيث اخبرها باحتمال مروره بهما الشهر المقبل.

كان ادريان الآن رجلاً مختلفاً، لم يعد متجهماً او بغيضاً. صار الرضى هو ما يسكن عينيه اينما ذهب وكيفما حل. حتى انه كان يبدو سعيداً لتخطيط مستقبلهما، واقترح قضاءهما شهرالعسل في اوروبا. سيطيران الى روما ومنها الى باريس ثم الى لندن.

سألها عن خاتم الزواج وما تفضله فرفضت التعليق لكنها وبعد اصرار منه قالت:

«حجر الفيروز الشفاف الذي يعكس بلونه وصفائه سماء كيرينيا الجميلة.»

«حجر فيروز شفاف؟ يا لذوقك المتواضع.»
«ماذا توقعت مني ان اطلب... ماسة ضخمة براقة؟»
رماها بابتسامة ودية وقال بهدوء:«لا ... في الواقع انا لم اتوقع يوماً ان تكوني من محبي المال والذهب، على كل حال، انا ايضا احب الفيروز وسأختار لك اجمل خاتم فيروز سأجده.»
طار الى القاهرة خصيصاً لشراء خاتم الخطوبة لها. اعطاها إياه قبل العشاء مباشرة تلك الليلة. بطريقة عادية وضع الخاتم في اصبعها وقال:
«حظاً سعيداً مع حبي وافضل امنياتي يا عزيزتي... آمل ان يناسب مقاسه اصبعك.»
هربت الكلمات من فمها وحدقت بالخاتم في يدها وشهقت بإعجاب. فهذه كانت اروع واجمل فيروزة شفافة سبق ان شاهدتها. كانت كبيرة وبراقة وصافية وموضوعة على خاتم من الذهب الابيض وتحيط بها احجار الالماس من جانبين.
اعطاها اياه مع «حبه» ! لو انه فقط كان يعني ذلك فعلاً...لو انه فقط يحبها إضافة لمصادقتها...
سألها:«هل انت مسرورة؟»
التمعت عيناها بالدموع وقالت:«اظنه اروع خاتم سبق ان رأيته في حياتي كلها، شكراً جزيلاً لك.»
هذه الليلة وبرؤيته سعادة لوسي بخاتمها تذكر مجدداً طعم السعادة وشعر انه راضياً وقانعاً شد لوسي اليه فجأة طابعاً قبلة دافئة.
«حبيبتي. اظنني سأستمتع بكوني زوجاً لك.»
«لا اظن الزواج منك سيكون سيئاً جداً بدوره يا ادريان.»
مرت اللحظة الحرجة. والعاطفة التي هبّت فجأة داخل

ادريان انطفأت الآن. استدار مبتعداً وعض على شفته. وحين تكلم الآن كان صوته خفيفاً وعادياً.
«امي في احسن حال اليوم.»
«اجل، هذا صحيح. تكلم الطبيب مع الممرضة حول بقائها هنا شهراً اخر وقد سرها ذلك كثيرا.»
«ممتاز. إذن يمكنها البقاء هنا للاهتمام بأمي فيم نحن في شهر العسل.»
تضرّج وجه لوسي خجلاً وتحاشت نظراته. لو انه يعلم فقط ببركان اللهفة الحار المتخفي خلف هذا الوجه الرقيق الجذاب. الذهاب الى اوروبا معه، كزوجته يا لها من سعادة طاغية.
وبصعوده للاطمئنان على والدته جلست هي تنظر الى خاتمها وعقلها يقول لها.
اضبطي نفسك يا لوسي غريشام والا فتت قلبك الى اشلاء. شعوره ليس كشعورك. هو حتى لا يشعر بنصف او حتى ربع ما تشعرينه نحوه، كل ما يحدث معه هو مجرد سباحة على السطح. لا تكوني حمقاء وتذهبي عميقاً حيث الخطر الاعظم. لكن حمقاء ام لا، تعرف هي تماماً انها لا تستطيع تغيير شخصيتها. كانت حياتها قد اتخذت منعطفاً رائعاً بعد اعلان خطوبتها على ادريان وكانت سعادة الوالدة بذلك لا توصف، وكانت تنهمر بالهدايا على لوسي التي كانت ترفض دوماً لكن تعود فترضخ بسبب اصرار بلانش اوليفنت الشديد. حتى انها اعطتها المال لشراء جهازها.»
لم تشتر لوسي الا بضع فساتين. فقد اخبرها ادريان انهما سيختاران كل حاجياتها من روما وباريس لاحقاً.
فاجأت السيدة اوليفنت لوسي بقولها ذاك المساء :

«اريد طلباً منك يا حبيبتي لوسي.»

«ماذا؟» سألت لوسي بارتباك.

«اريدك ان ترتدي ثوب زفاف ابيض فستبدين رائعة به.»

بدأت لوسي باعتراض:«لكن...»

«هيا لوسي.» قاطعها ادريان بابتسام:«حققي لأمي رغبتها تلك من فضلك، فتلك هي رغبتي انا ايضاً. ستكتشفين بعد حين انني وامي نتشارك الكثير من الافكار التقليدية المعتادة.»

وافقت لوسي... والارتباك والحياء يمنعانها من الجدال.

سارت امور التحضير للعرس على اكمل وجه واقترحت السيدة بلانش ان ترتدي لوسي فستان فرحها الرائع هي والمصمم في ايطاليا. ووافقت لوسي طبعا لكن قلبها كان طيلة الوقت يتألم ويعتصر لإدراكها ان حبها لادريان كان يزداد ويتوهج يوماً بعد يوم وكانت تعاستها تكبر معه لادراكها انه لا يحبها.

كانت قد سمعت من كارول ان فاليري غادرت الجزيرة في اليوم التالي لزيارتها المشؤومة للفيلا وان نيكولاس استقر في اثينا حيث سيفتتح فندقاً صغيراً هناك بعد ان وضع شقيقته مع عمتها. فرحت لوسي لسماعها ذلك عن نيكولاس وتمنت له التوفيق والسعادة اما سعادتها هي فقد وصلت وبشكل مفاجيء قبل يومين من موعد العرس المحدد.

كانت تجلس في الاستديو الخاص بأدريان، صباح احد ايام الصيف الحارة، تفتح بعض الاشياء التي وصلت من القاهرة هذا الصباح مع عدة الرسم وخام اللوحات الجديدة فقد قرر ادريان العودة للرسم مجدداً. ولوحته الاولى،

كما قال، ستكون لزوجته وفور عودتهما من شهر العسل.

دق لوكاس باب الاستديو وناولها رسالة لها من نيكولاس اليستون، جلست على حافة طاولة الرسم وبدأت بقراءة الرسالة مدركة انه سيخبرها بما سبق لكارول ان اطلعتها عليه. بدت لوسي بتنورتها الرمادية القطنية وبلوزتها الزهرية الصغيرة اصغر سناً مما هي عليه فعلاً.

هكذا وجدها ادريان حين عاد من البلدة ودخل الى الاستديو ليخبرها ما انجز من ترتيبات بشأن الزفاف. كانت هي منشغلة بالرسالة ولم تنتبه لوصوله. للحظات طويلة ظل يحدق بها مندهشاً. كم كانت تبدو جميلة بجلستها تلك. كل يوم يمر على قراره بزواجه من لوسي غريشام كان يحمل له المزيد من الاقتناع بصواب ما سيفعل.

تساءل عما تقرأ؟ عم يجعلها مسترسلة هكذا؟ لحظات ثم صرخت ورفعت رأسها. رأته فهرعت اليه وعيناها تلمعان بشدة. لكن شيئاً ما في وجهها اثار اهتمامه.

«ما الامر يا لوسي؟»

ركضت اليه ومدت ذراعيها نحوه بسعادة لا توصف. «آه، ادريان، ادريان! لكم هذا رائعاً.»

«ما هو الرائع؟ هل ترك لك احدهم ثروة مفاجئة؟!»

«بطريقة ما، نعم هذه ثروة... وافضل من الثروة. هذا ما أملت به على الدوام. الحقيقة ... وقد وصلت قبل زواجنا تماماً. انا سعيدة جداً لأن هذا سيفرحك.»

تناول الرسالة منها لكنه لم يقرأها على الفور.

«حبيبتي.» قال بشكل عفوي:«ما كل هذا؟»

«اقرأها يا ادريان. انها رسالة من نيكولاس. اظن من الفظاظة اعترافي بفرحتي لموت المسكينة آفروديت. كانت

شابة وجميلة... المسكينة آفروديت! لكنها اذتك بشدة. لا يسعني الا الارتياح كونها اعترفت بما فعلت قبل موتها.»

تلاشت ابتسامة ادريان الآن، آفرو الصغيرة ماتت! تلك صدمة حقاً، واخذ يقرأ الرسالة وهو يشعر بالأسف. قرأ كيف اصيبت آفروديت بمرض السل وكيف انها اعترفت لنيكولاس بكل كذبها قبل موتها.

اعرف الآن، كتب نيكولاس، ان السيد اوليفنت لم يكن يوماً مذنباً تجاه شقيقتي المسكينة. لقد تسببت له بالكثير من الأذى وانا مذنب بدوري ايضاً. وكوني رجل شرف وأمانة سأحاول جاهداً التكفير عن الذنب الذي اقترفته بحق السيد اوليفنت وذلك بمجيئي شخصياً الى كيرينيا لكشف الحقيقة وإطلاع الجميع عليها. اما حالياً فقد ارسلت الى جميع اصدقائي رسائل تشرح ما حدث وتطلب منهم إخبار الجميع بالحقيقة كي يعود اسم السيد اوليفنت نظيفاً ومحترماً كما كان عليه ان يكون ويبقى على الدوام. مجدداً اعبر عن اسفي لكل ما فعلت ولكل ما فعلته تلك الطائشة المسكينة واتمنى لكما السعادة معاً.

رفع ادريان رأسه ونظر الى لوسي التقت نظراتهما. تنفس الصعداء اخيراً وكأن حملاً ثقيلاً قد انزاح عن ظهره. حمل ثقيل شل حركته وحطمه لسنوات.

«لوسي. هذا فعلاً شيء رائع.»

«بالكاد اصدق هذا. من المؤسف ان الموت وحده هو ما دفع تلك الفتاة المسكينة لقول الحقيقة.»

«اذن الآن انت تعرفين.»

«لكني كنت اعرف ذلك دوماً، انا لم اشك بك يوماً.»

استدار ادريان ونظر اليها:«صحيح، هذا شيء سأذكره

على الدوام. انت صدقتني منذ البداية، انت وامي.»

«والآن سيصدقك الجميع. ستنتشر الاخبار في كل الجزيرة.»

كان صوتها يلعلع في صمت الاستديو ثم ساد الصمت مجدداً. كل تلك السعادة كانت لاجله هو! كل ذاك الفرح...!

بحركة مفاجئة احاطها بذراعيه وقربها منه وقال:

«ما سبب سعادتك هذه؟ لما يهمك الامر لهذه الدرجة؟ هل الامر انك قلقة على سمعتي، لانك ستحملين اسم عائلتي بعد زواجنا؟»

«هذا قول فظيع من قبلك! تعرف انني لا اهتم لهذا لنفسي! انا سعيدة لاجلك.»

«لماذا؟ لماذا؟ انا لا اهمك لتلك الدرجة، لا؟»

هتفت بيأس:«بل تهمني! تهمني كثيراً! آه، لكم انت احمق يا ادريان! الا ترى كم اهتم لامرك؟ هل انت غبي لدرجة الا تعرف او تدرك انني متيمة بحبك؟»

خرجت الكلمات منها بجنون ويأس. امسك بها ادريان الآن بقوة مدركاً انه يمسك امرأة دافئة وحنونة و... تحبه بجنون. قال:«آه يا لوسي، لوسي حبيبتي... يا حبيبتي.»

«احبك... ولم استطع ابداً تحمل فكرة عدم حبك لي.»

«لكني احبك. احبك بكل ذرة في كياني، وكأننا كنا نخفي مشاعرنا الحقيقية عن بعضنا منذ البداية. ظننتك تكرهيني بعد ان قبلتك تلك الليلة وانك قبلت الزواج بي لاجل امي فقط.»

«هذا ما ظننته بشأنك انا ايضاً.»

«والآن اصبحنا نعرف. آه يا لوسي... لا فكرة لديك كم تمنيت حدوث هذا.»

www.elromancia.com

«لا يعقل انك تحبني يا ادريان. انا لا اصدق ذلك.»

«اذن سأقضي بقية حياتي وأنا ابرهن لك عن ذلك. لكني اؤكد لك انني متيم بك فعلا. بإمكاني القول انني وقعت اسير هواك يوم المهرجان. بدأت برسم صورتك وانت نائمة. احمل صورة وجهك تلك في محفظتي على الدوام. هل اريك اياها؟»

«آه، لا، لا.»

«ولم لا؟»

«لاني لا اريدك ان تتركني للحظة واحدة. اريدك ان تظل ممسكاً بي هكذا الى الابد.»

قال بتأثر:«احبك يا حبيبتي... احبك كثيراً، كثيراً و لا يجدر بك التفكير بعكس ذلك ابدا... ابداً.»

قبلاته الكثيرة اكدت لها صدق ما يقول وكان هذا اغلى ما حلمت به منذ اللحظة التي رأته... وسيستمر حلمها معه وقربه الى الابد... لانها الآن اسعد واكثر الفتيات حظاً في العالم.

تـــــمت